من اللجنة الاردنية ليوبيل «الاديب»

سعادة الاخ الكريم الاستاذ البير اديب حفظه الله

تحية الاحترام والاكبار

الان وقد اوشكت سنة اليوبيل الفضي على تسليم شعلتها لفترة اليوبيل الذهبي ، يطيب لنا ان نهنئكم من اعماق قلوبنا انا وزملائي اعضاء لجنة اليوبيل الاردنية على جهدكم الضخم وجهادكم العظيم في اداء رسالة الآداب والفنون والعلوم مدة ربع القرن الفائت ، سائلين الله ان يمد في عمركم ويقوي من عزمكم لاستدامة هذه الرسالة بصدور «الاديب» نورا يطلع مع كل هلال ، ونبراسا يضيء السبيل لكل جيل .

انها لمفخرة خالدة لكم ايها الاخ العميد ان تتمكنوا منفردين طوال هذه الفترة من القيام بهذا العبء المضني ، على شكل لم يسبق له مثيل في المجلات الادبية العربية ، وسيزيد من هذه المفخرة ان تولوا خدمة الامة العربية من المحيط الى الخليج هذه الخدمة الشاملة التي اضطلعتم بها اشرف اضطلاع . ولعل «الاديب» تشق طريقها في قابل الايام فيستمر صدورها خمسين عاما ، ومائة عام ، واكثر ، شأن ما نطالعه عن عمر بعض المجلات الغربية .

ان الدول اليوم تتبنى اصدار المجلات الراقية فتقوم باعباء ضخمة وتنفق نفقات طائلة . وانا لنرى الانسجام كاملا بين موقف لبنان العربي من اشقائه جميعا وبين رسالة «الاديب» في سائر الاقطار العربية والمهاجر والمعاهد الاجنبية والمؤسسات . فما اسهل واروع ان تنهض حكومة لبنان الرشيدة لمؤازرتكم فتجعل من «الاديب»تحت اشرافكم الحصيف وسياستكم الحكيمة مؤسسة تدعمها برفد معلوم من موازنة الدولة تتمكنون به من مواصلة العمل في شيء من الراحة والطمأنينة .

اننا نحييكم ايها الاستاذ الكبير والاخ العزيز ، ونرجو لكم العمر المديد والعافية السابغة و «للاديب» مزيد الرقي والازدهار ، والله يحفظكم ويرعاكم . المخلص

عمان

محمد اديب العامري

ممثل اللجنة الاردنية ليوبيل «الاديب»

مي زيادة بعد ربع قرن

بقلم الدكتور جميل جبر

***

تعتبر مي زيادة ابرز اديبات عصرها . فقد لمعت خصوصا في نشاطها في سبيل تحرير المرأة الشرقية وفي ادبها الخلاق الذي كان له شأنه في اثارة النهضة الادبية الحديثة .

ولدت في ناصرة فلسطين ومكثت في المنزل الابوي الصغير الابيض القريب من البئر التاريخية في كنف ابيها اللبناني الذي كان يعلم آنذاك في مدرسة حكومية في فلسطين . لما بلغت مي الرابعة عشر من عمرها دخلت معهد عينطورة في لبنان لراهبات الزيارة حيث ادهشت معلماتها وزميلاتها بميلها الجارف الى المعرفة . وكانت تقضي العطلة الصيفية عند انسبائها في شحتول .

وفي سنة ١٩٠٤ مضت مي الى القاهرة حيث اقام ابواها فانصرفت الى القراءة بنهم وفي سنة ١٩١٠ نشرت باكورتها « ازاهير حلم » بالفرنسية . وبعد سنوات ثلاث اسهمت في تحرير «المحروسة» جريدة ابيها فلفتت انتباه المثقفين في عصرها واصبح منزلها بين عشية وضحاها ندوة ادبية عامرة . وكتبت مي في تلك الفترة في ابرز صحف مصر كالاهرام والهلال والمقطم والتقدم .

اولعت منذ صباها بجبران وقد قرات كتبه فراسلته مدة طويلة ولم يتسن لها ان تلتقيه . ان الشعور الحار الذي تجلى في رسائلها الموجهة الى جبران بمعدل اثنتين كل شهر (وكان يومذاك في نيويورك) قد بدأ يظهر في كتاباتها الاولى في مدرسة عينطورة يوم كانت تعيش في احلامها اكثر مما تعيش في الواقع . كتبت مي في يومياتها آنئذ باسم عايده المستعار : « كيف اتخلص من شعوري ؟ كيف الاشيه ؟ كيف اصير صخرة ؟ حدثيني ايتها الحجار السعيدة كيف صرت حجارة .. »

في جبران الذي بدأت آثاره تؤلف مدرسة خاصة في الادب العربي وكانت مي قد قرأت معظمها كانت ترى اكثر من رفيق بعيد يبدد وحدتها المعنوية . كانت تجد فيه انعكاسا لذاتيتها المستكملة ، مثالا مجسدا للفنان الذي شاءت هي ان تكونه .

دعت مي جبران الى مصر ، بطريقة مبطنة في البدء ثم بشكل صريح فيما بعد ، لكن صاحب « النبي » ما استطاع ان يلبي رغبتها . كانت مشاغله المنوعة في الادب والتصوير اكثر من ان تسمح له بمثل ذاك الجواب .

« ان الشعب الاميركي (كتب لها يقول) كبير النشاط لا يتوانى ولا يمل وهو يجهل التعب والنوم والاحلام ... ان احب احدا قتله بالانعطاف » . « ... أي رجل يستطيع ان يترك بناء صرف عمره بنحت حجارته وصفها حتى وان كان ذاك البناء سجنا له . فهو لا يقدر او لا يريد ان يتخلص منه في يوم واحد » .

وثمة اسباب اخرى كانت تمنعه من لقاء مي في القاهرة اهمها صحته وقد بدأت تزداد سوءا بعد سنة ١٩٢٢ كما يظهر من رسالة وجهها الى صديقه اميل زيدان :

« صحتي لم تزل مثل قيثارة متقطعة الاوتار . والامر الذي يزعجني هو ان الظروف قد اوجدتني في حالة تستدعي عشر ساعات عمل كل يوم وانا لا استطيع ان اصرف اكثر من اربع او خمس ساعات كاتبا ومصورا . ليس هناك شيء اصعب من وجود روح تريد في جسد لا يستطيع » .

الا ان جبران ، رغم بقائه في نيويورك ، ظل صديقا وفيا لمي وموجها روحيا لها . وقد ظهر تأثيره في كتاباتها الاولى بنوع خاص .

صالون مي

هناك حدث لا يقل اهميته في حياة مي واثرها عن علاقتها بجبران هو صالونها الذي كان بحق ملتقى رجال الفكر البارزين في ذلك العهد ومركز انطلاق النهضة الادبية المعاصرة . وهذه هي شهادة حية تؤديها احدى زائرات هذا الصالون في اول العمر الاديبة ايمي خير :

« كنا ندخل هذا الصالون من باب عن يمين المدخل . وانني ما ازال اذكر المقاعد العربية والكراسي المغطاة واللوحات المعلقة فوق البيانو ، وتلك الزاوية مع المرآة المطعمة بالموزاييك . كان الثلاثاء يوم استقبالها . وكان الزائرون الاولون يفدون حوالي الساعة الرابعة . غير ان ميا ما كانت تستقبلهم اول الامر بل كانت امها تنوب عنها فتقدم القهوة وشراب الورد والسكاير .. ثم عندما يعج الصالون بالناس تقبل مي مرتدية لباسا انيقا على غير تصنع فتجلس قرب من شاءت ان تكرمه ضيفا على الصالون » .

وكان بين رواد هذا الصالون ، وهو الاول من نوعه في العالم العربي ، لطفي السيد ، داود بركات ، خليل مطران ، انطون الجميل ، ولي‌الدين يكن ، شبلي الشميل ، اسماعيل صبري ، يعقوب صروف ، طه حسين ، جرجي زيدان ، فارس نمر وخليل ثابت .

وكانت اهداف هذا الصالون واضحة . كان يستهدف اولا البحث عن اسلوب عربي جديد يتوسط الاسلوب القديم واللغة المحكية ثم محاولة التقارب الثقافي بين الشرق والغرب وخصوصا خلق مناخ ملائم لتفتح المواهب الجديدة . كانت مي تشترك في جميع الاحاديث ، وتوجه النقاش وكان لها من الذكاء ما يفرض كلامها على الجمهور .

كانت ترى في احترام الحاضرين لها الامل الكبير الذي يعلقه هؤلاء على الغد الذي سيفتح امام المراة الشرقية الحياة الاجتماعية من بابها الواسع ويسمح لها بالتالي ان تسهم في نشاط الرجل . وفي سبيل تعزيز هذا الامل كتبت مي اولا سيرة « باحثة البادية » ثم سيرة عائشة تيمور ووردة اليازجي لكي تبرز العطاء الادبي والاجتماعي النسائي رغم القيود التي كانت تحد من انطلاقة المراة .

ان صالون مي الادبي الذي دام اكثر من عشرين سنة (وقد اضطرت لاقفاله بعد موت ابيها سنة ١٩٢٨) والذي سجل مرحلة في تاريخ النهضة الادبية . مما كان ليكفي ميا ويغنيها عن الخلق . فكانت بين اول من سجل اسمه من الفتيات في كلية الاداب فورتأسيسها في الجامعة المصرية وكانت تواظب على الكتابة في المجلات والصحف الكبرى كالهلال والمقتطف والمقطم وغيرها . وكان احب الموضوعات اليها موضوع تحرير المراة . ولكم اتيح لها عهد ذاك ان تخطب في الحفلات العامة آخذة على الرجل انانيته ، مظهرة ان المجتمع الحديث لا يمكن ان ينطلق الا بجناحيه ، اي المراة والرجل معا .

مأساة مي

اخذ الزمان يعبس لمي في سنة ١٩٢٨ . مات صديقها يعقوب صروف وابواها ثم جبران فوجدت نفسها هرمة وحيدة في ذلك المنزل الذي عمر بالامس برواد ندوتها وعودها في كنف ذويها الطمأنينة والرخاء . فاعتزلت العالم ظنا منها ان الوحدة خير بلسم لكلومها المعنوية . لكنها لم تلبث ان ضاقت بوحدتها تلك فنقمت على منزلها وما فيه من اشياء تذكرها بالامس الراغد ، فسافرت الى فرنسا سنة ١٩٣٢ وجالت في حواضرها ، وتوجهت منها الى انكلترا حيث زارت بلد شكسبير وانتقلت الى سويسرا ثم الى ايطاليا متلمسة في كل مكان عزاء يدوم . لكن نفسها القلقة ترجحت دوما في فجوة القلب الطعين فملت السياحة وعاودها الحنين الى القلم ، فرجعت الى مصر ، وغيرت منزلها ، وراحت تترجم لاعلام الفكر اليوناني وتطالع ورثر لغوته ورينه شاتوبريان وتأملات لامارتين (كتبها العزيزة عليها في الصبا) محاولة ان تذهل عن نفسها حينا في غمرة العمل المرهق .

وضاق بها الجو من جديد فركبت البحر الى ايطاليا حيث درست آثار لغتها وطافت في متاحفها . لكنها ما استقرت على حال فاخذت عوارض الاعياء الذهني تظهر عليها وقد اثقلتها الهموم والمشقات .

وعادت الى مصر، فاشتد عليها المرض، وازداد تبرمها بالحياة ، فقصدت لبنان (وكانت تزوره من قبل في الصيف) تطلب الاستشفاء في ربيع سنة ١٩٣٦ بيد ان الداء لم يمهلها فاورثها السوداء ، فدخلت المستشفى ومكثت فيه مدة تقاسي الالم . ولما استعادت عافيتها مضت الى الفريكة الى جوار صديقها امين الريحاني تقضي صيف ١٩٣٨ حتى اذا هبت رياح الخريف عادت الى مصر بعد ان القت في بيروت محاضرتين رائعتين عن مستقبل الادب العربي .

في القاهرة عاشت مي «وحيدة القلب وحيدة الروح» تتنازعها الذكريات الاليمة فضعفت حيويتها وراجعتها عوارض الهستيريا فدخلت مستشفى المعادي تستنفد فيه ساعاتها القليلة . وفي منتصف ليل ١٩ تشرين الاول سنة ١٩٤١ سمع شهيق متقطع يحاكي تنهد الطفل وهو يختنق، فهرولت الراهبة الى الاديبة المبيضة تسألها عما بها ، فلم تقو على الجواب بغير اشارة الى صدرها المنهوك ، وما هي لحظات حتى ارتعش السرير تحت مي الهزيلة الواهية ... وكانت خفقة القلب الاخيرة .

مي الاديبة

تميزت مي كأديبة بنشاطها البارز في سبيل تحرير المراة من الجهل والتقليد المكبل لكي تستطيع ان تساوي الرجل في حقوقه . كانت النهضة النسائية عهد ذاك في خطواتها الاولى في الشرق الاوسط ، وكانت تحتاج الى دينامية مخلصة الى توجيه رصين فاذا مي مع قاسم امين وباحثة البادية ذلك العنصر الفعال في اثارة وعي المراة على واقعها .

كانت مي رومنطيقية في صباها تأثرت بأثار بيرون ولامارتين وشلي . وقد ظهر ذلك في باكورتها الشعرية « ازاهير حلم » وفي آثارها العربية الصادرة في تلك الفترة . اما اشعارها فقد عكست حنينها الى مرابع الصبا في لبنان وافكارها الصوفية وايمانها بالعناية الآلهية كما عكست كآبتها وضجرها على طريقة بودلير .

وقد جمعت مي اثارها العربية المتأثرة بالرومنطيقية في مجموعتها « ظلمات واشعة » و « ابتسامة ودموع » وفي يومياتها التي نورد نموذجا منها دلالة على اسلوبها ونظرتها الى الوجود .

« انما حياة الانسان على الارض جهاد مستمر رغم كونها محض عبور ، ورغم اننا نموت في ذاتنا كل يوم . واذا كان النمو سنة نافذة فينا ، فان حياتنا منظمة من جهة اخرى بحيث نودع ادغال الطريق فترات من مرورنا خطوة بعد خطوة .

يخيل لنا اننا نتخبط في سبيلنا على غير رشد ولا تبصر ، وشر من ذلك اننا عوضا عن تبادل التعاون مع الافراد والاقران ، نكون لهم الخصوم قسرا والمنافسين .

اتبغي يا هذا ، فصل وردة مبللة بندى الليل عن غصنها الريان ؟ حذار ! فالاشواك تعترضك فتمزق منك اليد والانامل .

اتريد قطف بنفسجة ترغب بالتخفي وراء العشب المخملي ! حذار ! فهناك الافعى تفح وتلتف على نفسها ، ثم تخل مراوغة وتتهيأ لتنقض وتلدغ .

أترون الظفر بزهرة تفتحت على اريكة الغصن ! حذار

ثم حذار ! فما لمحت تلك العين المترصدة ، وانتهبت في الامر من كمين ؟

بين الناس كفاح وعراك ، ورغم ذلك فان الحي لا يحيا لنفسه ، بل لغيره نتاج جهاده وسعيه . وهل يتيسر النصر للفرد الواحد في حين تمتد عليه جميع القوى ، وتتألب لقهره والفتك به ؟ بدهي انه بين هذه الموانع والحواجز لا يظفر باكثر من وريقة عطرة تنشرها الريح عن زهرتها ، وانه من الثمرة التي يغرسها ويغذيها بالجهود والتضحية لا يجني غير التمني والتشدق والانتظار » .

آثار مي

١ ـ ازاهير حلم (بالفرنسية) ديوان شعر منظوم ومنثور صدر في مصر سنة ١٩١٠ بتوقيع «ايزيس كوبيا» قصائد رومنطيقية فيها ذكرى وحنين واحلام .

٢ ـ رجوع الموجة : مترجم عن الانكليزية .

٣ ـ ابتسامات ودموع : ترجمة عن ماكس مولر من الالمانية سنة ١٩١١ .

٤ ـ باحثة البادية : نشرته المقتطف سنة ١٩٢٠ . درس لشخصية ملك حفني ناصف المعروفة بباحثة البادية وقابلت فيه بين نظريتها الى المجتمع والمراة ونظرية « الباحثة » .

٥ ـ كلمات واشارات : نشرته الهلال سنة ١٩٢٢ وهو مجموعة خطب اجتماعية فلسفية تجلى فيها اسلوب مي الخطابي المميز .

٦ ـ سوانح فتاة : حكم وآراء قيلت في ظروف مختلفة جمعتها في كتاب واحد سنة ١٩٢٢ بناء على اقتراح صديقها ولي الدين يكن .

٧ ـ غاية الحياة (محاضرة) سنة ١٩٢٢ .

٨ ـ المساواة نشرته الهلال سنة ١٩٢٣ وفيه عرض لمختلف النظريات الاشتراكية والديمقراطية باسلوب علمي سلس .

٩ ـ الصحائف وهو قسمان ومقدمة . في المقدمة ملاحظات في النقد الادبي وفي القسم الاول درس شخصيات عالمية اما القسم الثاني فيشمل على وصف رحلات السندباد البحري .

١٠ ـ ظلمات واشعة نشره الهلال سنة ١٩٢٣ وهو يحتوي على مقالات شعرية تعبر فيها مي عن نفسيتها المستوحشة بطريقة عذبة مؤثرة .

١١ ـ بين الجز والمد ـ مجموعات ابحاث في اللغة والاداب والفنون والحضارة .

١٢ ـ الحب في العذاب جزآن . مترجم عن الانكليزية سنة ١٩٢٥ .

١٣ ـ رسالة الاديب : آخر محاضرة القتها في الجامعة الاميركية في بيروت سنة ١٩٣٨ ونشرها المكشوف .

١٤ ـ عائشة تيمور نشرته الهلال بعد موتها .

الآثار المخطوطة : مجموعة قصائد بالفرنسية ـ ترجمة فيرجيل الى العربية ـ ليالي العصفورية ـ سلالة فينيقية في مصر ـ اصوات نسوة الشرق ـ رسائل شتى ـ مجموعة مقالات وابحاث .

ورد ذكر هذه المؤلفات المخطوطة في احاديث مي ، ولكن لم يظهر لها اثر بعد وفاتها . ولعلها عناوين لمشاريع كتب ..

جميل جبر

ضياع

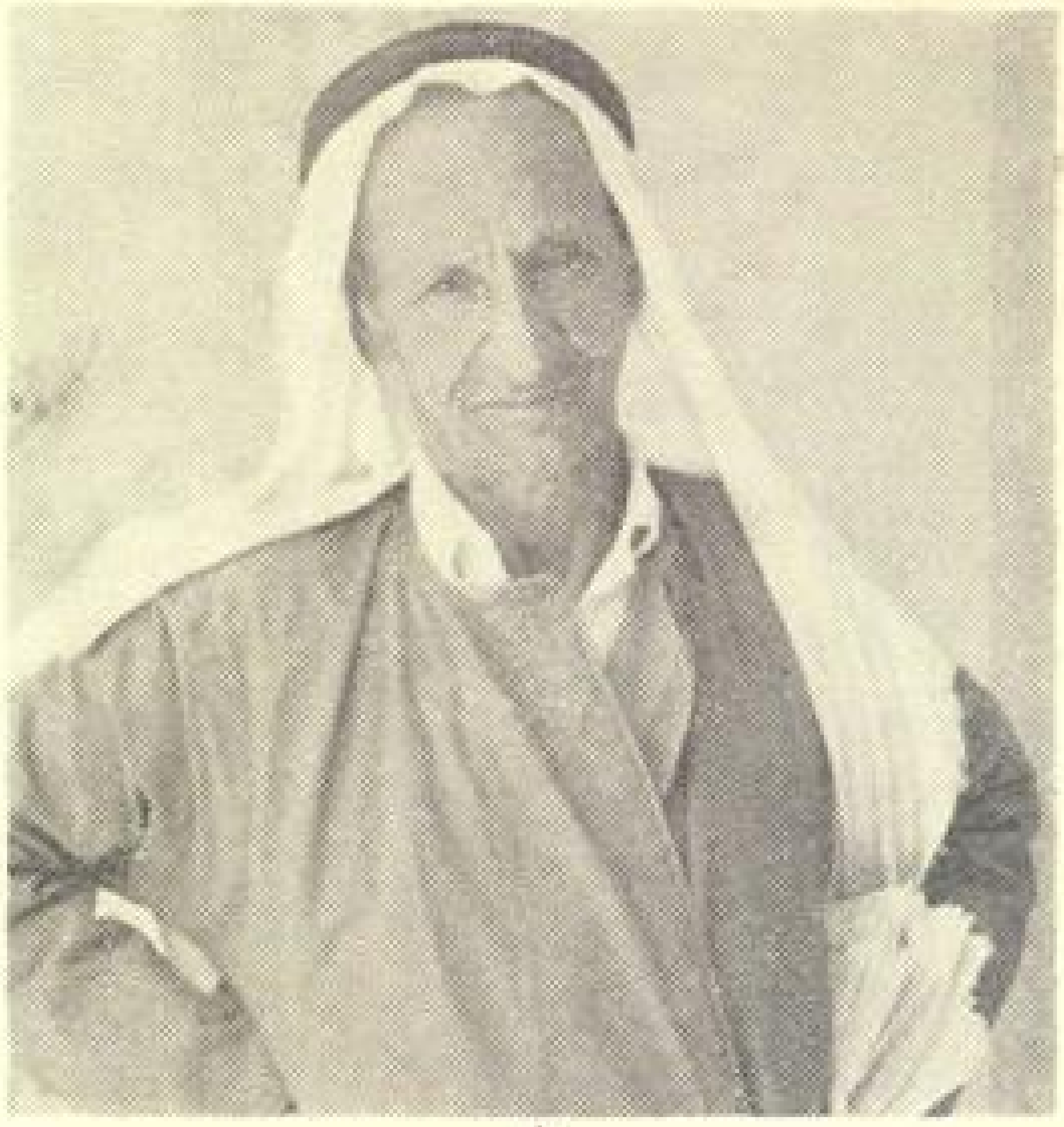
•

ستبعد عني وأبقى أنا
أعاني العذاب والقى الضنا
اما قلت لي يوم حلو اللقاء
وكيف اودع سحر المنى
أنا لا أطيق بعادك يوما
سأرحل . لا . لا سأبقى هنا
كذبت وما كنت يوما كذوبا
وخنت العهود التي بيننا

وعمرك ضيعت في الغربة
وضيعت عمري في اللهفة
أيرضيك هذا الضياع المرير
فماذا جنيت من الفرقة
وليلة كل فراق جديد
تنوح وأخفي أنا دمعتي
أخاف عليك لتمضي سعيدا
فزادك يوم النوى بسمتي

فهل يا ترى المرة القادمه
ستحكي حكاياتك الباسمه
وأنس العذاب الذي ذقته
وألقاك في لهفة عارمه
ومن فرحتي بك عند اللقاء
أصدق همساتك الناعمه
وعينيك سوف أخاصم قلبي
اذا صدق القصة الداهمه

مصر الجديدة — روحية القليني



بين الشاعر والناظم

الى صديق العمر الشاعر الدكتور زكي المحاسني

★ ★ ★

الحب بين شاعر وشاعر ... رابطة ليس لها من آخر

كل يلاقي في أخيه نفسه ... تلوح في العينين والسرائر

وبين نظام وبين ناظم ... عداوة الدجال والمتاجر

كل يرى في قرنه مزاحما ... في الكذب، والتدجيل، والتظاهر!

لكن عداء ناظم لشاعر ... يبقى الى يوم الحساب الآخر

من حسد طاغ ، ومن غرابة ... غرابة الروح ، وطبع نافر

ان كنت بين شاعر وشاعر ... عثرت يوما بعداء سافر

فاعلم بزيف واحد بينهما ... وابحث عن الصريح والمكابر

فالشعراء روحهم واحدة ... في حاضر ، ومقبل ، وغابر

عيونهم ناطقة بشعرهم ... وشعرهم في باطن وظاهر

تعرفهم في الناس من شذوذهم ... وغيبة تظهر في المحاجر

وسخرهم يصدر عن براءة ... وبسمة الصدق ، وقلب طاهر

يجمعهم دين الضمير طاهرا ... ورحمة في ناسك ، وفاجر

يحسب ذو الجنة ، فيهم جنة ... يرنو اليهم بابتسام ساخر

يبادلونه ابتساما ساخرا ... لجهله الهازىء بالجواهر

في الشرق والغرب همو من اسرة ... يحن كل منهمو لآخر

الى الغريب في الزمان الغابر ... أقرب من مواطن معاصر

تلقى لهم مع الطيور قربة ... كالقرب بين طائر وطائر

لو بان في المريخ يوما شاعر ... طاروا له طرا بشوق زاخر

يدعونه لمهرجان بينهم ... فينزلونه بحب قاهر

فيملؤون سمعه قصائدا ... وهو يجيبهم بشعر آخر

وشعرهم رغم اللغات ، واحد ... يفهمه كل فؤاد شاعر

دمشق

احمد الصافي النجفي

نظرات في نجيب محفوظ

بقلم يوسف نوفـــل

***

دور الفلسفة في حياته وفي نفســه : شرع الطالب بكلية الآداب قسم الفلسفة يتشبع بالاطلاع على الفلسفة اطلاع تخصص ودراسة مع المام محدود بالادب ، حتى بعد ان يتخرج بعامين يظل متعلقا بالفلسفة ولكنها تختلط بالادب، ويظهر ذلك في اختياره لموضوع رسالة الماجستير ، وكان عن فلسفة الجمال وهو كما يقرر : « أقـرب الدراسات الفلسفية لموضوع الادب والفن » .

ولعل تسرب الفلسفة الى روح أديبنا الكبير يرجع الى الاتجاه الفكري لدى طـه حسين والعقـاد وسلامة موسى باعتبارهم المثل الاعلى له ، ولدى أبي العلاء المعري وابن الرومي ، باعتبارهم شعراء مفضلين عنده . وحيـن نلتمس الدليل الواقعي في أعماله نجد الفلسفة في أكثر من واحد منها ، «فاللص والكلاب» تعتبر مـن الاعمـال الادبية الفلسفية ، و «اولاد حارتنا» يمكن اعتبارها قائمة على فكرة فلسفية أيضا تماما كبعض مؤلفات توفيق الحكيم وبعض أعمال ألبيـر كامي حتـى ليحدثه بعـض أساتذة الفلسفة انه ينهج نهجا ديكارتيا في بعض أعماله أي يصل الى الحقيقة عن طريق الشك وأشاروا بنوع خاص الى «القاهرة الجديدة» ... ولعل خير ما أفاض الحديث في ذلك الدكتور الحكيم ونجيب محفوظ . يقول الدكتـور محمد غنيمي هلال : بدات القصة تتأثر بالاتجاهات الفلسفية والواقعيـة فـي معالجـة الحقائـق الكبرى او المشكلات الاجتماعية ويمثل لذلك بقصص نجيب محفوظ (١) .

تأثره بمن عاصره وما عاصره : كان تأثر نجيب بمن احبهم لدرجة العشق بالغا وعظيما ، فنراه يتجه للقدماء بعاطفة حب عميق : كشيكسبير ، ومن أدباء القرن التاسع عشر تولستوي ودستويفسكي وتشيكوف . ويخص مـن ادباء العصر الحديث : بروست ، وتوماس مان ، وكافكا ، وبعض المسرحيين مثل اونيـل ، وبرنارد شو ، وابسن ، وسترندبرج (٢) .

اما في الادب العربي فنراه يتطلع بعين الاعجاب لطه حسين فيتعلم منه ثورته الفكرية ، كما يأخذ عنه نماذج مختلفة من فن القصة مثل قصة الترجمـة الذاتيـة فـي الايام ، وقصة الاجيال في شجرة البؤس .

أما العقاد فانه يمنحه الايمان بقيم معينة أولها قيمة الفن الادبي كفن رفيع لا كوسيلة للكسب ، ومن أجل هذا اقتنع نجيب ان الفن حياة تعاش من غير شيء وراءها ، وليس مهنة تدر ربحا كما علمه العقاد تقدير الحرية الفكرية وأثرها في الديمقراطية وعن طريق قصته «سارة» اكتشف نجيب اول مثل للقصة التحليلية ، وكـان ذلك من بيـن تأثير العقاد في نقد الشعر ودراسته .

أما سلامة موسى فهو أقرب الاساتذة اليه ، وأدناهم منه وأعظمهم تأثيرا فيه بما بثه من منادة بالعلم ، فأثـر بذلك تأثيرا قويا فـي تفكيره ولهذا كتب نجيب محفوظ الثلاثية ... ذلك العمل الكبير الذي يعتبر أروع أعماله ، كما يقرر المستشرق الفرنسي الاب جومييه كما يرتقى به الى المستوى العالمي ، وفي هذا العمل انعكست آراء نجيب كما صرح بنفسه في حديث بمجلة آخر ساعة (١٩٥٧) .

وقد قرأ سلامة موسى لنجيـب : « عبث الاقدار» ونشرها كاملة في «المجلة الجديدة» عام ١٩٣٩ فكانت أول رواية تنشر له ، ونشر له بعض أقاصيصه قبـل صدور «الرواية ومجلتي» (٣) .

واذا كان تأثر نجيب بفترات الازمـة التي طحنـت الشعب المصري طحنا تنطق به أثـاره لكن تأثره بفتـرة التخلص من العهود البائدة والاقبال على العهد الجديد بدأ كظاهرة نفسية في أدبه الا أن أصدق ملامح التأثر تتجلى في الشرائح ، والصور الحية التي تشهد بحب نجيب لكل شبر في الجمالية والحسين... والاحياء الشعبية العريقة.

ومن الناحية الفنية نجد تأثره بكتاب القصة الانجليز، وخاصة في التاريخ في قصصه للاجيال المتتالية ، فقـد تأثر في ذلك الاتجاه الانجليزي الذي حاكى بدوره القصي الفرنسي بلزاك (١٧٩٩ ـ ١٨٥٠) في مجموعته «الملهـاة الانسانية » التـي تأثر بها الانجليز وهم الذين أثروا في نجيـب .

شاعريته : اذا كان نجيب قد تأثـر بالمنفلوطي ذات يوم فان الملامح الحية من ذلك التأثر تبدو في انسيـاب أسلوبه ، ورقة لمساته ، وصحوة مشاعره ، وعذوبة لفظه وأكثر من ذلك التصاقا بالشعر تلك الصور الرائعة التـي يتعانق بعضها مع الاخر حتى لتكاد تنطق كل منها بمكنونها .... صورة حية متألقة تستطيع أن تنافس تلـك التي تبدو بين قوافي الشعر وبحوره ولعله ـ من هنا كان لاحد الباحثين (٤) الحق في تقديم احصائية مدروسة للصور الشعرية في قصص نجيب محفوظ .

وآية ذلك ما نجده من تعبيرات راقية مثل قوله في «اللص والكلاب» : «وتراءت الجوامع الشاهقة ، وطارت رأس القلعة في السماء الصافيـة وانساب الطريق فـي الميدان ، وتجلت خضرة البستان تحت الاشعة الحامية ، وهبت نسمة جافة رغم القيظ منعشة ميدان القلعة بكـل ذكرياته المحرقة . »

على أن اتجاهه الشعري يتمثل في القديم في حبـه لأبي العلاء المعري والمتنبي وابن الرومي ، وأكثر من ذلك دلالة أنه كتب الشعر المتحرر عامي ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ وكان

يدور كله حول الحب والغرام .

نفسيته واصول ميوله : لو قدر لنا ان نتساءل لماذا لم يكتب نجيب للمسرح ؟ فما الذي يمكن ان تتضمنه الاجابة ؟

ان عدة تفسيرات يمكن ان تساق لمجابهة هذا التساؤل الخطير . الا ان واحدا منها لن تتوفر له قوة وصدق هذه الاجابة السريعة ، وهي ان نجيب انطوائي ، انسان خجول لا يحب الاختلاط بالناس ، وهو حريص على معاملتهم بطريقة تكاد تكون رسمية ، يقف احتراما لك ، ويقتصد في الحديث اليك .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فانه يقرأ المسرحية ولا يشاهدها كما انه واقعي ، ومن هنا فانه يجد في الرواية جناحا اكثر امتدادا واغزر دفئا واطول ريشا مما يجده في المسرحية ، هذا على الرغم من أن مسرحيات قصصه : زقاق المدق ، بداية ونهاية ، بين القصرين ، قصر الشوق ... ناجحة الى حد بعيد .

ولنلتقط من ماضيه بعض أوراق مبعثرة كأوراق الشجر الذابلة ، وسوف نجد في الخطوط التي تتعرج فوق صفحة هذه الاوراق عدة دروب نعرج منها الى نفسيته . هذه ورقة ملقاة على العشب الاخضر امام كوبري الجلاء وعلى مقربة من الدائرة المشئومة ، الم يكن من الممكن أن تصنع دائرة الشؤم هذه من حياة نجيب محفوظ بؤرة شؤم ، ومصدر شؤم ؟ ... الا ان صفاء قلبه وهدوء نفسه وطيبته ، وصبره ، وجلده ، كل ذلك بدد سواد الشؤم ليحل محله بياض التفاؤل والامل ومن اجل هذا لم يجىء أدبه سوادا كئيبا مهزوما ، بل تجدد مع الحياة وواكبها وسجلها . وورقة أخرى نلتقطها لكنها اكثر اخضرارا من سابقتها ، وخطوطها أبسط تعرجا ، تلك الورقة التي تسجل ولوع الصبي بأفلام وقصص المغامرات البوليسية ... هنا كان مولد الخيال الواسع والنظرة البعيدة المتأنية

(١) النقد الادبي الحديث ط ٣ ١٩٦٤ . (٢) الكاتب (يناير ١٩٦٣) والمجلة (يناير ١٩٦٣) . (٣) مجلة الكاتب (يناير ١٩٦٣) . (٤) عبدالمنعم عواد (الشهر ديسمبر ١٩٦٠) نجيب محفوظ شاعر .

والتأمل العميق ، والتفكير الصابر فهو يطيل النظرة لصديق له جاء يحكي له عن مجاذيب الحسين ويطلعه على ورقة دون فيها اسماءهم وهو يطيل الصمت متابعا أخبار محمود أمين سليمان على صفحات الجرائد والمجلات .

وورقة فيها اكثر من معنى، نلتقطها من ذكريات عبدالحميد جودة السحار وزمنها عام ١٩٤٤ . حيث حدثت أزمة الورق ، ففكر السحار في طبع مجموعة أقاصيص مهداة من مؤلفيها ، ورحب نجيب بالفكرة ، وكذا المازني ، ومحمود تيمور ، وسعيد عبده ، وصلاح ذهني ، وعادل كامل ، والمصري والسحار .... وكما يروي السحار : «وكانت هذه أول مره تكتب فيها اسماؤنا مع أسماء اساطين القصة في مصر ! » ... ويقصد بذلك نفسه هو ونجيب وعادل ... والنتيجة الطبيعية لذلك ان تحدث ناقد عن المازني وتيمور ، والمصري مادحا ومقدرا ، وحدد منهج ذهبي ثم جاء الى الثلاثة الناشئين فقال : «اذا كان من الصعب الحكم على كاتب من خلال أقصوصة واحدة فاننا نلاحظ فيما طالعناه في هذه المجموعة لهؤلاء الادباء مواهب فنية في التأليف القصصي ومقدرة على حسن البناء وتسيير الحوادث ، ووصف مختلف المشاعر والاحاسيس ... وانما ينقصها الكثير من العمق والاتساع» .

وكما يروي السحار نفسه كان لذلك أثر سيء في نفسيهما هو ونجيب وثارا في مجلسهما على الناقد وشعرا بالاستياء لهذا الحط من قيمتهما .

هنا نربط ذلك بما وصفه نجيب نفسه لقد قرر النظر للادب نظرة عشق غير مرتبط بثمن .. ومن هنا ما كان يتوقع هذا الناقد بل ونجيب نفسه بما كان يخبئه القدر له بعد عام واحد ، حيث جاءت «القاهرة الجديدة» لتحدث صدى في العالم العربي لكاتبنا ثم يتوالى النجاح .

واوراق أخرى كثيرة ، يمكن ان تهدينا الى جوانب عديدة من شخصية فناننا غير ان تصريحاته السريعة تطلعنا على ما لم يكن في حياتنا أليس في ذلك وداعة نفس وتقدير للغير .. انه يسير في نفس المنطلق .. تفاؤل واشراق وأمل ، ورضا حتى انه ليسعد بقراءة قصص الشبان .

ونظرة أخرى ترينا كيف يعبد الفنان الهدوء ، وراحة البال والاطمئنان .. انه لا يفكر الا في النفرغ .

ونظرة أخرى تبين لنا كيف ان روح الفنان تنتفض داخل ذلك الكيان الادبي انه لا يرضى عما بلغه انه يقرر انه لم يحقق هدفه بعد رغم أنه صنع في القصة العربية ما لم يصنعه غيره ، ورغم أنه استطاع ان يرتفع بانتاجنا القصصي الى المستوى العالمي وبنفسه الى المستوى الدولي ، انه يقرر ازدياد شعوره بالمسؤولية والنقد الذاتي منذ أحس بما بلغه وهذا يؤكد ان الاديب الفنان مولع بمثل ومرتبط بقمة .

بورسعيد **يوسف نوفل**



وديع ديب

غرام المتنبي

بقلم وديع ديب

* * *

ويمشي موكب المتنبي (*) باتجاه حلب على رجاء الانتساب الى بلاط اميرها الحمداني. فاستقبلته الشهباء استقبال كبار الفاتحين وانزله سيف الدولة من نفسه منزلة الصديق الحميم وقد اعلن على مسامع الجماهير الكثيفة التي تحيط بقصره السامق انه يرحب بهذا الشاعر الكبير وانه لسعيد جدا في ان يقتني لصروف دهره سيفا هو امضى ما عرفت الامة العربية من سيوف امجادها ، وهنا نظر الامير الى شاعره وقال له لك يا شاعري ان تتمنى علي ما شئت ولي ان البي رغابك هذه مهما تكن عسيرة المنال، واشرأبت اعناق الناس تستطلع اماني الشاعر الجديد وكانوا ينتظرون منه ان يتمنى غير ما تمناه ولكنه فاجأ الناس بما لم يخطر لهم ببال فقد طلب من اميره الحمداني ان ينشد الشعر جالسا بين يديه وان لا يحني رأسه لاي انسان مهما علا شأنه وعظم قدره ثم اردف قائلا : هذا كل ما اريد فان رضيت به فأنا طائرك الفريد والا فالكون رحب ولي متسع من الارض. وما ان فرغ المتنبي من حديثه هذا حتى سمع صوتا رقيقا يخترق ستائر الحجال ليقول هذا هو الشاعر الذي يوطد عرشا ويرفع أمة .والتفت المتنبي الى مصدر هذا الصوت الاغن فاذا به يرى وجها مشرقا يطل من بين فجوات الستائر اطلالة البدر من وراء الغيوم الدكناء فأدرك ان هذه الاميرة الجميلة هي أخت هذا الامير الوسيم الذي توسم في محياه الخير والرضى ، واذ ذاك استأذن المتنبي اميره الحمداني في انشاد شيء من شعره القديم الى ان يتسع له الوقت لنظم ما يليق بأميره من قصائد الثناء واذا بالناس آذان مرهفة واذا بالعيون شاخصة الى هذا الكنار الصادح الذي نبتت خوافي جناحيه على شواطىء دجلة والذي ما عرفت الواحات العربية مثيلا له في صلابة قوادمه ولين خوافيه وتقدم الشاعر من المنصة والقى ابياتا كان قد نظمها في شبابه الباكر هي من وحي خميلة غيناء في ظاهر الكوفة تعرف بواحة اثلة :

كم قتيل كما قتلت شهيد ... ببياض الطلى وورد الخدود
وعيون المها ولا كعيون ... فتكت بالمتيم المعمود
دردر الصباء ايام تجرير ذيولي ... بدار اثلة عودي
عمرك الله هل رأيت بدورا ... طلعت في براقع وعقود

تحمل المسك عن فدائرها الريح ... وتفتر عن شنيب برود
جمعت بين جسم احمد والسقم ... وبين الجفون والتسهيد
هذه مهجتي لديك لحيني ... فانقصي من عذابها او فزيدي
ما مقامي بأرض نخلة الا ... كمقام المسيح بين اليهود
ابدا اقطع البلاد ونجمي ... في نحوس وهمتي في سعود

وتوقف المتنبي قليلا بحجة انه مكتف بهذه الابيات وانه على استعداد ليقول سواها ولكنه سمع همسا يتعالى من هنا وهناك وعرف ان زملاءه الشعراء قد اخذوا يراقبون ارتعاش الستائر المنسدلة فوق الكوى المجاورة بشيء من الريب من حيث سمع الناس ذلك الصوت الرخيم. وهنا صاح سيف الدولة بشاعره : « اكمل اكمل ما يحضرك من ابيات هذه القصيدة وانتفض الشاعر كمن يستيقظ من حلم مخيف وقال بصوت مجلجل ونبرة صادحة :

عش عزيزا او مت وانت كريم ... بين طعن القنا وخفق البنود
فرؤوس الرماح اذهب للغيظ ... واشفى لغل صدر حقود
ان اكن معجبا فعجب عجيب ... لم يجد فوق نفسه من مزيد
انا ترب الندى ورب القوافي ... وصمام العدى وكيد الحسود
انا في أمة تداركها الله ... غريب كصالح في ثمود

وسرعان ما توقف الشاعر عن الانشاد حتى قال له سيف الدولة على الرحب والسعة ايها الشاعر الكبير اريدك صماما لاعدائنا وكيدا لحسادنا ، وهتف الناس احسنت احسنت يا شاعر الامير ويا امير الشعراء ، واذا بالوأواء يسر في اذن الببغاء ان هذا الشاعر الضيف لم يأت حلب بقصد الدعاية لاميرها وانما بقصد الدعوة الى نبوءته المزعومة ، الم تسمعه يشبه نفسه بالمسيح حينا وبصالح ثمود حينا آخر فأجابهما ابن خالويه وكان يسترق السمع انه انما جاء حلب الشهباء لانه سمع عن اميرتها الجميلة شيئا كثيرا وانكر الوأواء عليه ذلك لكون الفرق عظيما بين الامير والشاعر الفقير ثم اردف قائلا : الم يكن ابوه سقاء في الكوفة فكيف يجرؤ على مثل هذه المغامرة ، فقال ابن خالويه ولكنه هو صاحب هذا البيت القائل :

اذا غامرت في شرف مروم ... فلا تقنع بما دون النجوم

وصمت الجميع على امل الانتظار الى اليوم التالي ،

(*) القيت من الاذاعة اللبنانية في ٣ - ١ - ١٩٦١

طفولة

في الحفرتين، ذبالتان ، بلا وميض، تخفقان
في عتمة الليل الطويل،على مدارات الدخان
تتسربان ، وتخفتان ...بلا زمان أو مكان
وعلى سنا الينبوع،يا احلى الصبايا ، تلهثان
الزئبق اللألاء ، فيه تجدفان ... وتفرقان

يا نكهة العذراء، يا فوح الطفولة ، يا سناها
يا خضرة الغدران،يا نسغ البراعم، يا شذاها
يا حبة الرمان تسطع لهفة البلور فيها
يا ((نبعة الريحان)) تورق في مفارق زارعيها
يا ((طفلة))، يا ضوء قنديل ينير سرى أبيها

لم يبق في افقي،لزهرك،غير أشتات السحاب
الريح تنثرها، وتذروها ،على غبش الضباب
وذبالتين ، بلا وميض ، تخفقان مع السراب
في حفرتين عليهما تفتر أطواق العذاب

يا طفلة لم يبق لي منها، سوى ذكرى هواها
وشذى براءتها ،وطيف عيونها، وصدى خطاها
ويح ((البراعم)) يا لكهل متعب خفقت رؤاها
في دربه، فمضى يطاردها، ليبعث من صباها
بقيا صباه ، وذكريات اطلعتها مقلتاها
ويح الطفولة ، اي قلب لا يذوب على لظاها
ويموت شوقا، دونما لقيا، ويحلم في جناها

بغداد حسين جليل

وفي هذا اليوم استأذنت الاميرة خولة اخاها في ان يسمح لها ولرفيقاتها الاميرات بالاستماع الى هذا الشاعر الملهم يلقي عليهن من وراء الستار ما يحلو له من شعر في مدح اميرهم المفدى ، وجلس المتنبي ينشدهن الابيات التالية :

ايدري الربع اي دم اراقا ... وأي قلوب هذا الركب شاقا
لنا ولاهله ابدا قلوب ... تلاقى في جسوم ما تلاقى
وما عفت الرياح له محلا ... عفاه من حدا بهم وساقا
فليت هوى الاحبة كان عدلا ... فحمل كل قلب ما اطاقا
سلي عن سيرتي فرسي ورمحي ... وسيفي والهملعة الدفاقا
تركنا من وراء العيس نجدا ... ونكبنا السماوه والعراقا
فما زالت ترى والليل داج ... لسيف الدولة الملك ائتلاقا

وحبست العذارى انفاسها مصغيات الى هذا السحر الحلال من الشعر المصفى وودت خولة لو يسمح القدر بأن تلتقي الشفاه بالشفاه بعد أن تلاقت القلوب بالقلوب على حد قول شاعرها المبدع ولكن شيئا من الجفاء كان قد اخذ يتسرب الى قلب اخيها ثم ما لبث ان استحال مع الايام الى كره لهذا الشاعر ، وذلك بسبب الوشايات المتواترة تاتي من هنا ومن هناك وبصورة خاصة من ابن خالويه الذي استطاع بدهائه ان يفرق بين الامير وشاعره ما حمل الشاعر على ترك البلاط الى غير عودة ولسان حاله يقول :

واحر قلباه ممن قلبه شبم ... ومن بجسمي وحالي عنده سقم
ما لي اكتم حبا قد برى جسدي ... وتدعي حب سيف الدولة الامم
ان كان سركم ما قال حاسدنا ... فما لجرح اذا ارضاكم الم
اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ... ان لا تفارقهم فالراحلون هم

ورحل المتنبي الى مصر على رجاء الغنى والثار فلم يظفر بشيء فعاد الى العراق حزينا يائسا وتناقل حداة القوافل هذه الابيات وفيها من مرارة الحرمان ما يكفي لتعكير صفو الفراتين وجعلهما ماء اجاجا وهي من قصيدة نظمها على اثر اشاعة كاذبة بانه مات ولن يسمع له صوت بعد الان وقد نعاه حساده الى سيف الدولة وعلم بامرهم، فقال والسخرية ملء فمه :

بم التعلل لا أهل ولا وطن ... ولا نديم ولا كاس ولا سكن
لا تلق دهرك الا غير مكترث ... ما دام يصحب فيه روحك البدن
مما أضر باهل العشق انهم ... هووا وما عرفوا الدنيا وما فطنوا
تفنى عيونهم دمعا وانفسهم ... في أثر كل قبيح وجهه حسن
يا من نعيت على بعد لمجلسه ... كل بما زعم الناعون مرتهن
كم قد قتلت وكم قد مت عندكم ... ثم انتفضت فزال القبر والكفن
ما كل ما يتمنى المرء يدركه ... تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وما ان سمعت خولة بهذه القصيدة حتى غلب عليها الحزن وتمكن منها اليأس ، فقد آلمها كثيرا ان تكون هي المعنية بقوله هذا وساءها ان تتهم على براءة وتهجر على اخلاص فاعتلت وماتت ، واذا بالناعي ينعى الى المتنبي اميرته الغانية التي رأى في محياها كل ما كان يجول في صدره من آمال عذاب وكل ما كان يختلج في باطنه من احلام مشرقة فبكى حتى شرق بالدموع وود لو كان الناعي كاذبا كالذي نعاه اليها في الامس القريب ، فانهمر الدمع من اجفانه حتى كاد يختلط بالمداد الذي بين يديه واذا بالشعر ينبجس من انامله وحيا متألقا مشرقا يرف على ثبج الضياء الدافق من قلبه فرثاها بأروع ما يمكن ان يقوله شاعر خالد في جمال عبقري :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر ... فزعت فيه باٰمالي الى الكذب
حتى اذا لم يدع لي صدقه املا ... شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي
ارى العراق طويل الليل مذ نعيت ... فكيف ليل فتى الفتيان في حلب
يظن ان فؤادي غير ملتهب ... وان دمع جفوني غير منسكب
بلى وحرمة من كانت مراعية ... لحرمة المجد والقصاد والادب
فليت طالعه الشمسين غائبة ... وليت غائبة الشمسين لم تغب

هذا هو المتنبي في غرامه ، هذا هو ابو الطيب في حبه الخالد وما احسب أن فتاة استطاعت ان تسكب الخلود في اكوابه غير هذه الحسناء الحمدانية التي سرعان ما طواها الموت حتى اصبحت ليالي العراق مظلمة باردة لا تبدد غياهبها شمس ولا يشيع في جنباتها دفء رجاء .

وديع ديب

الحمل العريض

الى البير أديب

— ١ —

كان لي ((أنا)) ففقدته ،
وبحث عنه في الضحى ،
وفي الفجر اذ يغشي ،
فما وجدته

كان لي ((أنا)) ففقدته ،
وبحثت عنه في الاكواخ ، وفي الدروب ،
حتى جننت من وحشتي ،
فما وجدته

انبعث الـ ((أنا)) من نداء الوجد ،
في عالم متمرد ، فمددت يدي لعناقه ،
فاذا بـه شبح ينساب ويختفي

ذهـب الـ ((أنـا)) ،
فشربت من ثدي العدم ، جرعات الهوى ،
منذ فجر الهجر ، حتـى النـوى

مـن السائـر ؟
هل أرجلي ، أم الشارع ؟ أم ذهني المتشـرد ؟

اني يتيـم مأواه فـي رجليـه ،
سائـح بـلا أزمـان :
البرد رحلتي ، والحرزادي ، والسكون رفيقي ،
وغـذاء الاحقـاب مـن آهاتـي .
رافقـت الصمت فـي البحث عن أناي ،
وجررت أرجلي ، يقاومهـا الرصيـف ،
والرمـل ، تحـت أقدامـي ،
ينثال في مساحة الفراغ الكبير .
نسجت من خطوات التيـه عباءة ،
وجعلتها على باب الكهـف الكئيب

— ٢ —

كان لـي أنـا ففقدتـه ،
وبحثت عنه في الاعماق ،
وجررت أرجلي في الاسواق ،
كـي ابتاع ((أنـا)) ، اي أنا :
الضمير الحر يصفر عنه كل ميزان ...

لـم أجد أناي في السوق ، في الحقل ،
لم اجد أناي في العيون ، في الصوت ،
فطفت على وحشتي ووحشة الصمت

اني غريـب في كائني :
وحدتي تحترق كالشمس
كالشمس تزحف للمغيب .
وحدتي عاريـة صلعاء ، كالبحر ،
كالبحر يزأر من عزلته .
وحدتي صمـاء ، كالسماء ،
كالسماء تنزلق نحـو الظلام

كان لي أنا ففقدتـه ،
وعانقت حضوره ، في غيابه .
كان لي أنـا ففقدتـه ،
ونهلت كؤوس غيابـي من غيابه

— ٣ —

فقدت أنـاي ،
يبس الكـلام ،
فـوق اللسـان .
جـف القلم

الرباط ـ المغرب — محمد عزيز الحبابي

محمد عزة دروزة - درويش المقدادي

بقلم «البدوي الملثم»

* * *

١ ـ محمد عزة دروزة

عشرات من حملة الاقلام في البسيط العربي أرخوا للقضية العربية وما صحبها من مفاجآت واحداث لكن محمد عزة دروزة (١) يجيء في طليعتهم اذ تميز عنهم بمواكبته أحداثها ، ومشارفته على دخائلها واسرارها ، ومن هذا الباب جاء مفردا علما في تاريخها الطويل .

في صيف عام ١٨٨٨ ولد محمد عزة في نابلس وأنهى دراسته الابتدائية والرشدية والاعدادية في مدارسها وفي عام ١٩٠٦ نال الشهادة ومر بثلاثة مجالات هامة هي: ١ ـ مجال الوظيفة . ٢ ـ المجال السياسي. ٣ ـ المجال العلمي .

في المجال الاول : بعد تخرجه من المدرسة الاعدادية في مسقط رأسه عمل في مصلحة البرق والبريد (١٩٠٦ ـ ١٩١٨) وبعد تأسيس «مدرسة النجاح الوطنية» بنابلس عين رئيسا لها (١٩٢٢ ـ ١٩٢٧) ونقل مأمورا لاوقاف نابلس (١٩٢٧ ـ ١٩٣٢) فمديرا عاما للاوقاف الاسلامية في فلسطين (١٩٣٢ ـ ١٩٣٧) وفي هذا العام وضع الانكليز يدهم على الاوقاف الاسلامية وعلى المجلس الاسلامي الاعلى بفلسطين بداعي اندلاع الثورة الفلسطينية (١٩٣٦ ـ ١٩٣٩) ففصلوا دروزة عن عمله .

في المجال السياسي : وفي العام الذي اعلن الدستور العثماني (١٩٠٨) اندمج محمد عزة في التيار السياسي فكان عضوا لفترة قصيرة في «نادي الاتحاد والترقي» وهو الحزب المنقلب عن جمعية «تركيا الفتاة» التي كان لها يد في اعلان الدستور ، ثم عضوا وسكرتيرا لفرع حزب الائتلاف بنابلس (١٩٠٩) فعضوا وسكرتيرا للجمعية العلمية العربية في نابلس (١٩١١) فعضوا في فرع حزب اللامركزية في نابلس (١٩١٤) فعضوا في جمعية العربية الفتاة (١٩١٦) فعضوا وسكرتيرا لهيئتها المركزية في دمشق (١٩١٩ ـ ١٩٢٠) فعضوا وسكرتيرا للجمعية الوطنية في نابلس (١٩١٩ ـ ١٩٣٢) فعضوا وسكرتيرا للمؤتمر العربي الفلسطيني المنعقد في القدس (١٩١٩) فعضوا في المؤتمر السوري العام المنعقد في دمشق ومقررا للدستور (١٩١٩ ـ ١٩٢٠) فعضوا مؤسسا في حزب الاستقلال العربي في دمشق (١٩١٩ ـ ١٩٢٠) فعضوا في المؤتمرات العربية الفلسطينية (١٩٢١ ـ ١٩٢٧) فعضوا في لجانها التنفيذية لغاية (١٩٣٣) فعضوا في المؤتمر العربي العام في القدس وفي لجنته التنفيذية (١٩٣١ ـ ١٩٣٢) فمؤسسا وعضوا لحزب الاستقلال العربي في فلسطين وخازنا (١٩٣٢ ـ ١٩٣٦) فممثلا لحزب الاستقلال في اللجنة العربية العليا لفلسطين وسكرتيرا لها (١٩٣٦) فعضوا في وفد اللجنة الى عاهلي العراق والسعودية (١٩٣٧) فأحد ممثلي هذه اللجنة والناطقين باسمها أمام لجنة التحقيق الملكية البريطانية (١٩٣٧) فمندوبا لهذه اللجنة في المؤتمر العربي العام المنعقد في بلودان (بسورية) وسكرتيرا عاما (١٩٣٧) فعضوا منتدبا في دمشق لادارة وتمويل الثورة العربية بفلسطين (١٩٣٧ ـ ١٩٣٩) .

وبسبب نشاطه في تغذية الثورة الفلسطينية حاكمته السلطات الفرنسية في دمشق امام محكمة عسكرية فحكمت عليه بالسجن خمس سنوات قضى منها ١٦ شهرا في سجني «المزة» و «القلعة» وافرج عنه سنة ١٩٤٠ اثر انهيار فرنسة في الحرب .

وفي عام ١٩٤١ بارح دمشق ولجأ الى تركية خشية ان تقبض عليه السلطات البريطانية التي احتلت سورية وفي عام ١٩٤٥ عاد الى دمشق وما زال فيها. وفي عام ١٩٤٨ ألم به مرض فأجريت له عملية جراحية ، وثقل سمعه الذي بدأ سنة ١٩٣٢ فاعتزل السياسة وانصرف الى النشاط العلمي .

في المجال العلمي : لم يتح لهذا المفكر العصامي اكثر من الدراسة الاعدادية لكنه شمر عن ساعد جده وانكب على المطالعة والدراسة الشخصية واستمر على ذلك دون انقطاع ، وكانت حصيلة هذا الجهد طائفة من المؤلفات والمخطوطات وعشرات المحاضرات في نوادي فلسطين وسورية وعشرات المقالات في مجلات وجرائد فلسطين وسورية ولبنان ومصر وعشرات الاحاديث من اذاعتي دمشق ومكة .

ومن حسنات سجنه في دمشق ان حفظ القرآن الكريم وكتب أصول مؤلفات كتبه القرآنية وهي :

١ ـ عصر النبي عليه السلام وبيئته قبل البعثة من القرآن .
٢ ـ سيرة الرسول عليه السلام من القرآن .
٣ ـ الدستور القرآني في شؤون الحياة .

وفي هجرته الى تركيا كتب اصول التفسير وكتابه القرآن المجيد الذي جعله بمثابة مقدمة للتفسير بالاضافة الى اصول كتبه حول الحركة العربية الحديثة وتركيا الحديثة وبواعث الحرب العالمية الثانية .

واشتهر المترجم له بايمان ثلاثي صلب هو : ايمانه بالله وبالاسلام والعروبة وبمتانة في عقيدتيه الدينية والقومية .

وشعاره في الحياة : تقديس الواجب والتزام الحق ومواجهة أحداث الزمان بالتفاؤل والصبر ، وأخيرا ... مساعدة الانسان ما استطاع الى ذلك سبيلا .

نموذج من نثره : «اختلفت آراء الباحثين في منشأ الجنس العربي الذي سمي خطأ بالجنس السامي قبل وجوده في جزيرة العرب . فمنهم من قال ان اجداده من العراق ومنهم من قال ان أجداده جاؤوا من العراق ومنهم من قال انهم جاؤوا من افريقية ومنهم من قال انهم مزيج من افريقيين وسكان حوض الابيض المتوسط ومنهم من قال ان الجنوبيين منهم حاميون والشماليون ساميون، ومنهم من قال ان اليمن هي منبتهم.

وليس من الميسور الجزم في هذا كما انه ليس من طائل وراءه لانه يعود الى الحقبة السحيقة في القدم التي توزع خلالها البشر على وجه الارض بتأثير العوامل المتعددة والمتنوعة والتي تعود الى عصور ما قبل التاريخ .

على انهم مهما اختلفوا فان معظمهم متفقون على ان الجزيرة العربية منذ أقدم الازمنة التاريخية المعروفة كانت مأهولة بجماعات متشابهة في الملامح والطبائع تتكلم لغة مشتركة وان تعددت لهجاتها . وان الاقوام التي سميت خطأ بالاقوام السامية وسجلت نشاطها السياسي والاجتماعي والمدني والعمراني والعقلي والديني في الجزيرة ثم في وادي النيل وبلاد العراق والشام هم من هذه الجماعات . ففي اكناف جزيرة العرب تكونت الجماعة العربية الاولى ، ومنها ابتدأت الهجرة العربية الى أطراف تلك الجزيرة والى ما وراء هذه الاطراف في مصر وتخوم بلاد ايران .

وليس هناك من ينكر امكان كون سكان هذه الجزيرة قد عاشوا عيشة مدنية وسياسية واجتماعية منذ أقدم الازمنة التي سجل الجنس البشري حياة مماثلة في بعض الاقطار الاخرى ، وبتعبير ادق منذ زمن

---

(١) تنتسب أسرة «دروزة» الى عشيرة «الفريحات» المستوطنة قرية «كفرنجة» بمحافظة اربد (الاردن) وقد نزحت الى نابلس في القرن الحادي عشر الهجري وجاء لقبها من «الدرازة» بمعنى «الخياطة» .

اقدم من الزمن الذي تشير اليه الآثار المكتشفة في ارض الجزيرة وخارجها او الاخبار والروايات الواردة في كتب اليونان والرومان وأسفار العهد القديم أو نقوش مصر وبابل واشور والتي يرجع بعضها الى اربعة آلاف عام واكثر قبل الميلاد ، ولا سيما ان هذه الآثار تدل على تقدم يسير في مضمار الحياة السياسية والمدنية والاجتماعية والعقلية لا يمكن ان يكون قد تم الا نتيجة تطور وتدرج يرجعان الى قرون كثيرة قبل الزمن الذي نقشت او كتبت فيه . وكل ما في الامر انه لم يكشف عن آثار اقدم كما كشف عن آثار اقدم في وادي النيل والعراق .وليس من المستبعد ان يكشف عن آثار اقدم بالنسبة لسكان الجزيرة حينما يمكن القيام بتنقيبات واسعة كما أمكن في مصر والعراق ، ولا سيما ان في مختلف انحاء الجزيرة خرائب ومقابر واطلالا كثيرة لم ينقب فيها تنقيبا واسعا ».

من آثاره القلمية : وهذه اسماء مؤلفاته المطبوعة مرتبة حسب سني طبعتها الاولى ومكانها :

١ ـ وفود النعمان على كسرى أنو شروان سنة ١٩١١ (بيروت).
٢ ـ مختصر تاريخ العرب والاسلام (جزآن) سنة ١٩٢٥ (القاهرة).
٣ ـ دروس التاريخ العربي سنة ١٩٣٢ (القاهرة) .
٤ ـ دروس التاريخ المتوسط والحديث سنة ١٩٣٢ (القاهرة) .
٥ ـ دروس التاريخ القديم سنة ١٩٣٢ (القاهرة) .
٦ ـ دروس في فن التربية (مترجم عن الفرنسية) سنة ١٩٢٧ (القاهرة) .
٧ ـ تركية الحديثة سنة ١٩٤٦ (بيروت) .
٨ ـ بواعث الحرب العالمية الاولى (مترجم عن التركية) سنة ١٩٤٦ (بيروت) .
٩ ـ عصر النبي وبيئته قبل الاسلام (مقتبس من القرآن) سنة ١٩٤٨ (دمشق) .
١٠ ـ سيرة الرسول (جزآن) (مقتبس من القرآن) سنة ١٩٤٨ (القاهرة) .
١١ ـ القرآن واليهود سنة ١٩٤٩ (دمشق) .
١٢ ـ القرآن والمرأة سنة ١٩٥١ (صيدا) .
١٣ ـ القرآن والضمان الاجتماعي سنة ١٩٥١ (صيدا) .
١٤ ـ القرآن المجيد (مباحث متنوعة في القرآن) سنة ١٩٥٢ (صيدا) .
١٥ ـ حول الحركة العربية الحديثة (ستة اجزاء) سنة ١٩٥٠ ـ ١٩٥٢ (صيدا) .

الاول : في انبعاث الحركة في زمن العثمانيين الى آخر عهد حكومة فيصل في دمشق . والثاني : في الاستعمار الفرنسي في سورية ولبنان وبلاد المغرب وكفاح العرب ضده وتحرر لبنان وسورية منه . والثالث والرابع والخامس : في تاريخ الانكليز والصهيونية في فلسطين وكفاح العرب ضدهما . والسادس : في مشاكل العالم العربي .

١٦ ـ مشاكل العالم العربي (نال جائزة من الجامعة العربية) سنة ١٩٥٢ (دمشق) .
١٧ ـ الدستور القرآنيفي شؤون الحياة .
١٨ ـ الوحدة العربية سنة ١٩٥٨ (بيروت) .
١٩ ـ تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم سنة ١٩٥٨ (القاهرة) .
٢٠ ـ تاريخ الجنس العربي في مختلف الادوار والاقطار (في سبعة اجزاء) (١٩٥٩ ـ ١٩٦٤) (صيدا) .
٢١ ـ ماساة فلسطين سنة ١٩٦٠ (دمشق) .
٢٢ ـ جهاد الفلسطينيين سنة ١٩٦٠ (دمشق) .
٢٣ ـ العرب والعروبة في حقبة التغلب التركي (٣ أجزاء) .
٢٤ ـ عروبة مصر في التاريخ وبعد الفتح الاسلامي (رسالتان) سنة ١٩٦١ (القاهرة) .
٢٥ ـ التفسير الحديث (١٢ جزءا) سنة ١٩٦١ ـ ١٩٦٤ (القاهرة).

٢ ـ درويش المقدادي

ولد (١) في طيبة بني صعب (قضاء طولكرم)بفلسطين سنة ١٨٩٩ وتلقى تعليمه في كتاب قريته كما تلقى تعليمه الابتدائي في طولكرم قاعدة القضاء ، وهنا لاحت عليه مخايل الذكاء فعزم والده المرحوم الشيخ عبدالرحيم على تسليحه بثقافة عربية اسلامية فارسله الى مدرسة المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت وكانت منارة من منارات القومية العربية ، يحاضر فيها بعض رواد النهضة العربية أمثال الزهراوي وطبارة والمحمصاني .وفي هذا المصنع تفتحت مداركه ونضج تفكيره وتركزت فيه خصائص فريدة بارزة كالدقة في العمل والحفاظ على الوقت والحرص على الوعد وتنظيم شؤونه .

ولما استكمل درويش دراسته الاعدادية والثانوية وايمانه بالعروبة والاسلام في المقاصد الخيرية الاسلامية عام ١٩١٨ لم يكتف بهذهالحصيلة من المعرفة بل تطلع الى المزيد منها يطلبه في الجامعة الاميركية في بيروت حيث درس التاريخ والادب والاجتماع واطلع على الوان من الثقافة الغربية فتفاعلت هذه الالوان والوان اخرى من الثقافة العربية والاسلامية في قلبه وعقله فكان عربيا في قلبه اسلاميا في ايمانه غربيا في تفكيره .وفي عام ١٩٢٢ نال الشهادة من الجامعة الاميركية بتفوق كما نال اعجاب استاذه البحاثة المعروف الدكتور فيليب حتي الذي كان يرى في درويش مفخرة من مفاخر الفكر العربي ويعقد عليه اكبر الآمال في بعث تاريخ الامة العربية بعثا جديدا وتدوينه علميا دقيقا .

استهل درويش حياته العملية استاذا للتاريخ في « دار المعلمين» بالقدس (١٩٢٢ ـ ١٩٢٥) وخلال عمله مدرسا أسس فرقة كشفية سماها «فرقة خالد بن الوليد» وعندما علم الانكليز بذلك طلبوا منه الغاءها أو الحاقها بكشافة بادن باول الانكليزية او الاستقالة من «دار المعلمين» فصاح درويش في وجه مدير معارف فلسطين البريطاني قائلا :

«وهل تلغى كشافة خالد بن الوليد ذلك البطل الذي لم يغلب طيلةحياته؟ لا...لا...لن تلغى ولن تلحق بكشافة بادن باول البريطانية وهذه استقالتي» .

وعين درويش استاذا للتاريخ في «الكلية الاسلامية» بالقدس (١٩٢٥ ـ ١٩٢٦) فنذر نفسه لبعث روح امته وتجديد شبابها فغرس في نفوس طلابه حب الامة التي تحدر منها ، ودعا الى الاعتصام بحبل الله والتمسك باهداب الدين الطهور والاعتزاز بالعروبة ، وهو يرى أنه لن يصلح أمر هذه الامة اليوم الا بما صلح به أولها .

وغرس الفقيد هذه النبتة المباركة في فلسطين ما مكنه العهد الاستعماري البغيض ، ثم عزم على غرسها في كل قطر عربي ، فرأى في العراق الارض الطيبة لهذه البذور فيمم أرض العراق عام ١٩٢٧ليؤدي رسالته استاذا للتاريخ في داري المعلمين ببغداد والموصل وسلخ هناك مدة خمسة عشر عاما ، يحاضر ويوجه وينشىء ، وانتعشت روحه في هذا الجو القومي الطليق وعاش متعاونا مع صديقه المربي المعروف الاستاذ ساطع الحصري على تحقيق :

(١) فرض نظام الفتوة على سائر المعاهد الثانوية والعليا فيالعراق.
(٢) اصلاح جهاز التعليم وأنظمته واساليب التدريس .

وخلال عمله في العراق زار بغداد شاعر الهند « طاغور » فخطب درويش خطبة نفيسة عرف فيها الفيلسوف العظيم وقال فيها : « ان طاغور فيلسوف يعمل بفلسفته لانه شرقي ، بعكس فلاسفة الغربالذين لا يعملون بفلسفتهم ».

وبعد أن حلل المقدادي نفسية هذا الفيلسوف وقف «طاغور» شاكرا

---

(١) من ذرية المقداد بن الاسود الصحابي الجليل وتشبها به اتخذ اسمه لقبا للعائلة .

العراق على حفاوته بشخصه وفي خطبته اومأ الى درويش قائلا : « لم يفهمني أحد في الشرق او في الغرب الا هذا ! »

وفي ثورة عام ١٩٢٩ التي شبت بفلسطين قام درويش خطيبا في مدينة نابلس وحرض العرب على قتال الانكليز وقال لهم : « قابلوا هؤلاء البريطانيين واليهود بالسلاح الابيض ودمروا مزارعهم وافنوهم بالقتال المرير ! » وهنا اعتقلته السلطات البريطانية وسجنته وبعد فترة خرج بالكفالة وعاد يعمل في العراق .

وأراد المقدادي الوقوف على التراث العربي والاطلاع على آثار المستشرقين فيه فالتحق عام ١٩٣٥ بجامعة برلين يدرس ويعد (اطروحة) الحصول على شهادة الدكتوراه لكن نشوب الحرب العالمية الثانية في خريف عام ١٩٣٩حال دون اتمامغرضه فعاد الى بغداد وزاول التعليمهناك.

وابان دراسته في برلين قلده هتلر وسام الصليب المعكوف تقديرا لمواهبه العلمية وخلقه المثالي وبعد ان علق الوسام على صدر هذا العربي الكبير قال : « ان المقدادي يجمع بين الاخلاق الشرقية والمعانيالنفسية السامية وهي صفات العمل الغربي» .

وعندما حدثت ثورة رشيد عالي الكيلاني (١٩٤١) في العراق التحق درويش بها وقاتل الجيش البريطاني وقتل فيها كثير من طلابه الجامعيين فحكمت عليه المحكمة العرفية البريطانية بالاعدام لكن وساطة المرحوم نوري السعيد خفضت الحكم الى السجن خمس سنوات ، واودع درويش معتقلا في بغداد ومنه ارسل الى معتقل في بيت المقدس ، وظل يرسف في خشخشة القيد حتى أفرج عنه في عام ١٩٤٥ وهنا اغتنمت العناصر الوطنية الافراج عنه فعينته مديرا للمكتب العربي في القدس وعضوا في المشروع الانشائي (١٩٤٦ ـ ١٩٤٨) .

ولما اجتاحت النكبة الكبرى فلسطين عام ١٩٤٨ لجأ درويش الى دمشق فرحبت به الجامعة السورية في عهد رئيسها الدكتور قسطنطين زريق وعينته استاذا للتاريخ حتى عام ١٩٥٠.وفي نهاية هذا العام عين مديرا لمعارف الكويت (١٩٥٠ ـ ١٩٥٢) فمديرا مساعدا للمعارف وظل يشغل هذا المركز (١٩٥٣ ـ ١٩٦١) الى ان لحق بربه .

وخلال عمله في معارف الكويت زار الباكستان واتصل برجال العلم في كراتشي واتفق معهم على جعل العربية اللغة الرسمية للدولة بدلا من الانكليزية وعاد الى الكويت معتزا بهذا الاتفاق وصرح للصحافة بقوله : «لقد كسبنا في الباكستان أمة عربية تناهز الثمانين مليونا ، ولا بد ان يتحطم الاستعمار البريطاني أمام هذه القومية التي تمتد من المحيط الى المحيط »،

وفي السنوات الطويلة التي سلخها هذا الرائد العربي مسؤولا في معارف الكويت سعى الى تأسيس «المعهد العربي الكويتي الاردني» في القدس واختار له رئيسا منفذا الوطني المثالي الاستاذ روحي الخطيب أمين القدس. وكلل الله مسعى درويش بالنجاح وحقق هذا المشروع القومي النافع بتبرعات المحسنين الكويتيين واقيم في بيت المقدس وغايته تربية وتثقيف ابناء الشهداء العرب أينما كانوا .

وابان عمله في معارف الكويت أصيب بمرض عضال فنقل الى لندن للمعالجة لكنه عاد الى بيروت يائسا من الشفاء وفاضت روحه ليلة ١٤ ـ ٣ ـ ١٩٦١ مأسوفا على علمه الغزير وعقله النير ووطنيته الصادقة .وتقديرا لعلمه وفضله واخلاصه ولما أسداه لامته من جهد ونضال في سبيل استقلال العرب وانقاذهم من ربقة الاستعمار أقيمت حفلات التأبين في بغداد وطولكرم والكويت .

لقد أفنى درويش سني حياته مناضلا في سبيل امته ، وعاش في عالم خاص هو «عالم العروبة» وظل يتطلع الى اليوم الذي يرى فيه امته العربية موحدة الصف والغاية والهدف والراية ، لكنه لحق بربه وامته أضيع من الايتام في مأدبه اللئام !

من آثاره القلمية : كتب درويش طائفة من الابحاث والمقالات في كبريات المجلات العربية وقد تناول فيها المواضيع القومية والتاريخية والتربوية ووصف رحلات كبار المؤرخين العرب والمسلمين ، وقام برحلات تاريخية جغرافية سيرا على قدميه في ارجاء الوطن العربي ورفيقه فيها الدكتور نقولا زياده استاذ التاريخ في الجامعة الاميركية ببيروت .ومن تلك الرحلات (بيروت ـ جنين) و (صفد ـ الاسكندرونه) و (القدس ـ البحر الميت) .

وصنف درويش كتبا تاريخية قيمة منها :

(١) تاريخنا : وضعه بالاشتراك مع الاستاذ أكرم زعيتر ، وقد اتسم هذا الكتاب بالاسلوب القصصي التاريخي الجذاب وطبع عام ١٩٣٥.

(٢) تاريخ الامة العربية : هذا الكتاب صورة حية لادب الفقيد وغزارة علمه ودقة بحثه وتنظيمه وتبويبه ، وقد طبع عام ١٩٣٦ وجاء في مقدمته : «الغاية من تدريس التاريخ القومي بث الفكرة القومية حتى ينشأ الطلاب وهم مؤمنون بأن لهم كيانا وتاريخا وأمة ، ولكي يحترموا امتهم وتقاليدهم ، فان الامة اليائسة البائسة التي يحتقرها ابناؤها مقضى عليها بالفشل والذل والهوان .ونريد من ابناء البلاد ان يتيقنوا بان امتهم جديرة بالحياة وان لها الحق في ان تعيش حرة متحدة مستقلة ، ونعلم طلابنا التاريخ حتى يكونوا أهلا لحل مشاكلنا الحاضرة وتفهم مجتمعنا ، كما انهم يتحققون النتائج الوخيمة التي تنجم عن التفرقة والفوضى والانانية وعصبية القبائل».

(٣) تاريخ الكويت وآثارها (مخطوط) .

نموذج من نثره : في العدد ١٧ من مجلة «العربي» الكويتية نشر درويش مقالا بعنوان «ابن المقرب ـ شاعر مجهول» ولطرافة الموضوع الذي عالجه آثرنا اثبات بعضه كنموذج لنثر فقيدنا الكبير :

ساطلب حق آبائي وحقي ولو من بين أنياب الافاعي

وهو الذي يقول :

فاطلب لنفسك عن دار القلى بدلا ان جنة الخلد فاتت لم تفت سقر

يمثل لنا هذا الشعر وغيره مما ورد في ديوان الشاعر ابن المقرب الثورة والتمرد على ما أصابه في دياره على يد فريق من امراء الاحساء الذين اغتصبوا حقه في الامارة وصادروا أمواله وسجنوه وعذبوه ، فلما خرج من السجن ذهب الى العراق وزار البصرة وبغداد والموصل وتجول في انحاء البحرين ، ثم عاد الى وطنه ونظم القصائد مستعطفا ناقما . ولكن امراء الاسرة العيونية بالاحساء في اوائل القرن السابع للهجرة (اوائل القرن الثالث عشر للميلاد) بقوا على حذر منه بعد ان سمعوا قصائده ووشايات المقربين من حاشيتهم ، وهو يشبه المتنبي من هذه الناحية : المتنبي حاول بشعره وأسفاره واتصاله بأمراء مصر والشام ان يكون ذا ولاية وملك ، فلم يفلح ، كذلك فعل ابن المقرب بالخليج العربي والعراق ، فلم يحقق امنيته !

أما شعر ابن المقرب فهو طبعا دون شعر المتنبي ، الا ان الروح واحدة في قصائده بالفخر والحماسة والمطالبة بالحق .

ومع انه غير معروف الا عند فئة قليلة من الادباء الا ان كثيرين منهم بالملكة العربية السعودية والخليج العربي عرفوه وحفظوا شعره واعجبوا بقصائده ، حتى ان المرحوم الملك عبدالعزيز آل سعود كان يكثر من قراءة ديوانه في شبابه ، ولما تولى الحكم كان يستشهد بشعره ، وأمر ان يكتب البيت التالي على لوحة علقت في قصره :

اذا خانك الادنى الذي أنت حزبه فواعجبا ان سالمتك الاباعد !

وبعد ان سمعت البعض من ادباء الكويت يردد بعض أشعاره أحببت معرفة سيرته فاخذت اسأل عنه .وكان بالكويت الاديب السيد أحمد مبارك ، وهو من ادباء الاحساء بالملكة العربية السعودية فسألته عنه ، فروى لي بعض أخباره ، وتلا علي الكثير من شعره الذي يحفظه، وعلمت منه أيضا ان بدار الكتببالقاهرة ست مخطوطات لديوان الشاعر.

اسمه علي بن مقرب بن منصور ... ولقبه جمال الدين ، وكنيته أبو عبدالله .يعرف بابن مقرب او ابن المقرب العيوني البحراني وينسب الى بلدة العيون بالاحساء .

لاقط اللآلي

في أي عطر حالم غمس الجناح
ولأي سر شاقه غيـر المتاح
طيري المرفرف في ضلوعي
يشدو ويحسو من دموعي

في ريشه الذهبي ومضات خفيه
وعلى اللهاة تحار أنغـام شجيه
وهم تراوده الظنون
ومنى تأبـى ان تكون

نادتـه عبر القفر روضات انف
لاحت غوامضها له خلف السدف
وغصونها الخضر النضيره
تحميه من وهج الظهيره

فيها له ما يشتهي عش وزاد
ولهيبها لا يستحيل الى رماد
أزهارها ابدا نديه
في فجرها مثل العشيه

هي نجمة في الغرب شقراء السنا
ضاءت له بين الدراري موهنا
شفت له عن سرها
في خفقة من نورها

بل ذاك حلم راع طيري في رقاده
ما ارتاح من خطرات رؤاه على فؤاده
اذ يرتجي ما لا ينال
ويعيش في أسر المحال

تلك الذرى سمقت فأخفتها السحائب
الا سمادير استثارتها الرغائب
غامت فليست تستبين
ولا يحيط بها اليقين

لكن طيري ليس يثنيه المدى
يشتاق في الغيب المرجى موعدا
ضربت قوادمه الرياح
وطار يهزأ بالجراح

لبى نداء رن في وجدانه
ومضى الى الافلاك في طيرانه
فلعل عند اللانهايه
حلا لألغاز البدايه

سيحط طيري عند آفاق عجيبه
فيهـا يفوز بكل أمنية غريبه
ويظل يلتقط اللآلي
من بين حبات الرمال

الجزائر — جمال مرسي بدر

أما الاسرة العيونية فقد كان لامرائها اليد الكبرى في القضاء على حركة القرامطة ، اولئك الذين كانوا قد تغلبوا على الاحساء وأقامـوا لهم فيها دولة قوية عام ٢٨٦ هـ بمساعدة قبيلة عبدالقيس وغيرها من قبائل ربيعية واتخذوا «هجر» عاصمة لهم واسموها «المومنية» واسمها «الهفوف» في الوقت الحاضر ، كماانهم تمكنوا من السيطرة على جنوبي العراق وقطعوا طريق الحج ودخلوا مكة في اليوم الثامن من شهر ذي الحجة عام ٣١٧ هـ (١٢ كانون الثاني ٩٢٠ م) وانتزعوا الحجر الاسـود من الكعبة ونقلوه الى الاحساء وبقيـت دولتهـم حتـى عـام ٤٢٢ هـ (١٠٣٠ م) وكان لحركتهم اثر كبير في سقوط الخلافة العباسية ،ودخول آراء ومعتقدات غريبة في المجتمع العربي ، ولهذا نجد شاعرنا يفتخـر في عدة قصائد بما فعله أجداده الذين قضوا على هذه الحركة فيقول :

سل القرامط من شظى جماجمهم — فلقا وغادرهم بعـد العلى خدمـا
من بعد ان جل بالبحرين شأنهـم — وأرجفوا الشام بالغارات والحرما

وهو يذكر ما أصابه على يد عشيرته ويدعو الى مغادرة البلاد التي يظلم المرء بها فيقول :

وان وطن ساءتـك أخـلاق أهلـه — فدعه فما يغضي على الضيم ماجد
فمـا «هجـر» أم غذتـك لبانهـا — ولا «الخط» ان فارقتها لك والد

ويقول أيضا :

في كل أرض اذا يممتهـا وطـن — ما بين حر وبين الدار من نسـب
اذا الديار تفشاك الهـوان بهـا — فخلهـا لضعيف العزم واغترب ! »

عمان ــ الاردن — البدوي الملثم

قصة

بين عالمين

بقلم الانسة رينه عبودي

المساء يحط على كل شيء ، والانوار نجوم بعيدة برتقاليـــة اللون . والسيارات صغيـــرة ، صغيرة ، تتراكض على الدرب .

ودقت الساعة والبيت ساهم . ومن المذياع ستذاع قصة لن تسمع . عتاب يشبه الآه ، تنطلق عبـــر السكون ، عتاب اخرس لشيء مبهم .

ومع ذلك فالقصة كانت قــد كتبت ، قصة قصيرة ، قصة ذات مساء اذ كانت تجلس هناك ، على ذلك المقعد ، قرب المذياع ، والساعة تتكتك ببطء ، وهي بمنديلها الابيض وضفيرتها الفضية تمسك مسبحـة كبيرة تصلي .

قصة قصيرة عن عادة من العادات كانت تقام في شهر تموز في حلب .. قصة قصيرة كتبت لتسمعهـا ذات يوم من المذياع .. لكن دقات الساعة ما تزال تتكتك بانتظام والبيت ساهم ، والقصة اعيدت كتابتها وقد تذاع مرة ، لكنها لن تكون هنا لتصغـي اليها .

حدث ذات مساء ان كانت تجلس على مقعدها هنـــاك قرب المذياع الصامت بمنديلها الابيض بضفيرتها البيضاء ، بمسبحتهـا البيضاء ، تصلي وفجأة سمعت اصواتا .. اصوات من الماضي ، اصوات من الحاضر ، اصوات تحاصر الجدران الاربعة حيث كانت تجلس .

كانت تستمع الى اهازيج النساء تأتيها من بعيد .. من بعيد . اهازيج النسوة في اخر ليلة من ليالي حزيران في اول ليلة من ليالي تموز . كانت تتراءى لها نساء الحي ، جاراتهـا واقفات على الشرف وعلى الاسطحة وقرب ابواب الدار ، تلوح كل منهن بزجاجة تطيح بها بعيدا . يا لصوت تحطيم الزجاج على ارض الشارع .. يا لاصواتهن تردد : حطمنا الشر .. حطمنا الشر .

انها تبتسم لنفسهـا اذ تذكر ، كيف كانت بدورها تملأ زجاجة ماء تدور بها حول رأس ابنتهـــا وصهرها واحفادها ثم حول راسها ثلاث مرات لترسلها فيما بعد الى الشارع .

كانت ارض الشارع مفروشـــة بشظايا الزجاج ، واذا ما مـــرت سيارة ، وكانت السيارات قلمـــا تمر في ذلك الشارع ، ارســـل السائق صيحات التزمـــر فتكون صيحاته مبعث سرور صاخب للنسوة الفرحات ..

كان الشارع ذاك كأنه الـــدار الواسعة التي تحمل في جوانحها كل اهل الحي .. كالمنزل الواحد كان ذلك المنزل الكبير .. الحي القديم . كانت كل جارة تشترك في هموم جارتها ، كان كل جار يجالس جاره في الامسيات يلاعبــه الطاولة او يتحدث ويصغي اليه . وكم كـــان الاطفال فرحين ، يمرحون ويرتعون في ذلك الحي .. منزلهم الكبير .. صدق من قال ان كل يوم يمضي لا يأتي بيوم مثله وتنهدت ..

ثم عادت تصلي .. وكانـت تكتكة الساعة ترافق صلاتها .

اليوم اصر حفيدها على الغداء ان تلغى هذه العادة ، قال :

ـ لن نحطم اي شيء هذه السنة . آن لنا ان نضع حدا لمثـل هــذه العادات السخيفة .

ولم تسمع رد صهرها عليه ، ان صهرها بات كثيرا ما يلوذ بالصمت هذه الايام الاخيرة .

قالت ابنتها : بل سنحطم ككل سنة .. هذه هي العادة فهي تجنبنا الشر ، شر هذا الشهر .

قال حفيدها الصغير : ما الذي تقولينه يا اماه ، اذا كسرنا زجاجا نبعد الشر عنا ، ثم ما ذنب هــذا الشهر المسكين ؟

قالت ابنتها محتدة : هذا ليس من شأنك .

قال حفيدها الكبير : كفانا عادات سخيفة ، بالية ..

قالت ابنتها : هذا ليس من شأنك انت الاخر .

قالت الحفيدة : هل نسيت يــا اماه اننا لم نعد نسكن في الحـي القديم واننا الان في حي انيق لا اعتقد ان هناك من سيكسر الزجـاج الليلة فيـه .

واضاف حفيدها الصغير : ثـم اننا نقطن في الطابق السادس واذا قذف احدنا بزجاجة واصابت رأس انسان يجتاز الشارع او يسير على الرصيف لقتلته لا محالة .. وهنا تكون الطامة والله اية طامة .

وصمتت ابنتها .. وسمعت فيما بعد اصوات رفع صحـاف الطعام والشوكات والسكاكين والكؤوس .. وسمعت ايضا صوت ورق جرائـد تفتح ورنا صمت ما بعد الغداء .

وقبعت في مكانها تفكر بالذي قيل امامها بينما كانت ابنتها تذهب الى المطبخ وتعود منه تساعدها الحفيدة .. كانت قابعة في مكانها وقد ماتت الرغبة في نفسها ، الرغبة فـي الحركة ، في النهوض ومساعدتهما في هذه الاعمال المنزلية .. لقد كان لها الدور الاعظم في هذه الدار في يوم من الايام . اما الان فهي تعجز عن تقديم اية مساعدة . لقـــد اقعدها ضعف بصرها عن اشيـاء كثيرة لا ضعف بصرها بل انعدامه تماما هذه الاونة الاخيرة .. اقعدها ضعف بصرها فهي قلما تدور فـي

المنزل ، فهي قد تتفقد في اخر الليل مكان كل فرد من افراد الاسرة وخاصة مكان حفيدتها لتتأكد من وجودهما في السرير ومن انهما قد عادا الى البيت بسلام . كانت تسير متلمسة الجدران ، هذه الجدران الملساء التي لا تحمل ذكريات ، فهذه الدار ، دار جديدة رائحة الدهان ما تزال تعبق فيها . لكم تحن نفسها الى جدران البيت القديم ، تحن حتى الى تلك الصراصير الكبيرة التي كانت تتراكض في مطبخه الواسع المعتم . وتنهدت ثانية وفكرت بالذي قيل ظهر هذا اليوم . احقا لن يحطم احدهم الشر ، وكيف يمضي هذا الشهر على خير ان لم يحطم الشر؟

لم لا تقوم بالعمل هي نفسها . لا احد الان في المنزل ، يمكنها ان تنتهز الفرصة، مؤمنة للاسرة السلامة دون علم منها .. لكن اين لها بالزجاجة وكيف ترميها من هذا العلو الشاهق ؟ ان الفكرة صعب تنفيذها .

وعادت تصلي .

وخطر لها فجأة ان من عادة ابنتها ان تضع قرب الثلاجة قناني الشراب والخل الفارغة ليصعد احد الاولاد في اوقات فراغه ، ليصعد بها الى السقيفة . من السهل سحب واحدة منها . اجل ذلك في منتهى اليسر والسهولة . وغمرها الفرح ونهضت مستبشرة تريد ان تطير وفجأة شعرت بثقل جسمها ، هذا الجسم الذي ازداد ثقله جدا .. نهضت ببطء وسارت متمهلة في الممر الطويل المؤدي الى المطبخ ، وهناك ما ان لمست يدها ظهر الثلاجة حتى انحنت ورفعت بتأن رأس قنينة . مشت بها الى حيث الماء فملأتها وعادت بها تسير في الممر الطويل لتدخل الى كل غرفة . كانت كلما وصلت الى سرير من اسرة افراد العائلة ادارت القنينة مرات ثلاث ثم حين انتهت من هذه العملية ادارت القنينة حول رأسها ومشت مضطربة الى حيث الشرفة وحين وصلتها توقفت فجأة ، سمعت من جديد ما قاله حفيدها : « اننا نقطن في الطابق السادس .. الطابق السادس » وماذا لو اصابت هذه القنينة احدا ؟

هالها الامر لكنها قبل ان تقفل راجعة فكرت بالمكروه الذي قد يصيب احباءها .. المكروه الذي قد يصيبها هي نفسها . وبقوة شجاعة تضرعت مرات ثلاث وقذفت الزجاجة وعادت ادراجها .

ان مقعدها الان فارغ ، لكن في تلك الليلة ما كادت تجلس في هذا المقعد حتى فتح الباب وسمعت ابنتها تصيح : اماه ، ما الذي فعلته؟

وحفيدتها تقول : جدتي .. لقد كدت تقتلين جارنا الذي يقطن في الطابق الثالث .

وعادت ابنتها تقول : كان المسكين عائدا الى بيته واذا بالقنينة تمر على مدى شعرة من رأسه .. المسكين حين اذكر صيحات رعبه واستنكاره .

قالت الحفيدة : لقد كان ما يزال يرتعد وهو يصعد معنا في المصعد .

قالت الابنة : هوت القنينة من كل هذا العلو ولم تتحطم .. لكن يا امي كيف فعلت هذا ؟

واضافت : لقد عرفت القنينة في الحال .. قنينة خلنا القديمة .. كان رأسها قد طمر في تراب احدى الشجرات المزروعة على الرصيف.. من هذا العلو الشاهق ولم تتحطم.

وهنا سألت الجدة : الم تتحطم ؟

قالت ابنتها : لا .

احنت الجدة رأسها في تفكير عميق ثم بخطى متمهلة سارت الى غرفتها .

كان ذلك في مساء بعيد حين كانت الجدة ما تزال تجلس على هذا المقعد قرب المذياع في الدار الجديدة .. حين اتتها صدى صيحات نسوة الحي تردد بين الاهازيج :

ـ حطمنا الشر .. حطمنا الشر ..

دمشق — رينه عبودي

عابر طريق

أتذكر يا عابرا للطريق ... جمودي اللهيف ووجدي العميق
أتذكر ارناءة من عيوني ... حكت سر قلبي ولهفي الطليق
فاني برغم ازدحام الطريق ... ورغم عشاري بغير رفيق
لأذكر صوتا ألم بسمعي ... وأذكر خطوا حوته طريقي
وأذكر أفقا تراءى رحيبا ... ووجها اظل بستر رقيق

وبنت وبنا ولكن رؤى ... تطوف بروحي المعنى الغريق
رؤى رسمتها لحيظات نشوتي ... تفجر دوما بفوري السحيق
وكنا وكان هنالك شيء ... يشد اليك وجودي العريق
يشد بروحي لكل خيال ... يمر وان عابرا للطريق

دمشق — سلافة العامري

الخريف في دمشق

* * *

مقل الخريف على الثرى تجري   بدموع ثاكلة على قبر
تنهل ناشجة وليس بها   داء يمض ولوعة تفري
والريح تزخر في مساربها   كاليم في مد وفي جزر
تهوي زعازعها مجلجلة   في شاسع بقوادم النسر
فتطيش أغصان لهبتها   عن لوثة وتميد من ذعر
وتمد أغصان على جذع   يد ضارع في ربقة الاسر
نفثت بها الادواء فارتعشت   تهتز كالمقرور من ضر
وتناثرت أوراقها بددا   دون الثرى سطرا على سطر

والشمس تومىء وهي شاحبة   من خدرها بأنامل صفر
ترنو بمقلة موجع كحلت   أجفانه بالسهد والمر
وتغض بالجفنين مجهشة   لوساوس بمدامع القطر
عصفت غواربها مشعشعة   خلف الغمام بذائب التبر
وجرت أشعتها بمنهمر   في غامر ينساح عن غمر
في كل منعطف لها شعل   وضاءة كالانجم الزهر
خلعت على الكثبان أردية   من ذائب الالوان والفجر
فاذا الربى من سحر ما خلعت   شعل الضحى سكرى من السحر

والماء يضرب في مساربه   متعثرا حيران لا يدري
يهوي على حذر وتمسكه   حينا وساوسه فلا يجري
ويكاد يعثر في تخبطه   من رعشة بيمينه تسري
زفراته في كل منعطف   يجري به شعل من الجمر
وبكل منحدر يسيل به   لمدامع أثر على الصخر
وكانما الصفصاف شاركه   برح الجوى ولواعج الصدر
فحنا يبث النهر ما ضمنت   أضلاعه من غصة تفري
والنهر في الاحواض مرتعش   يحكي النزيف يدف من سكر

والغيم أرخى من غلائله   دفت صحائفه ورققها
طررا على الكثبان والقفر   نصل الصبا في متنها يبري
تطوى على قسر وتنشرها   في الافق عاصفة على قسر
وتظل تخبط كالضرير سدى   في شاسع يمتد كالبحر
مل الغمام من السرى فشكا   برح السرى وحنا على النهر
أفضى بقول غير متلبس   لمسائل وحكى بلا ثقر
فشفى الغليل وليس في يده   من أمره شيء من الامر
والريح تعبث في صحائفه   بالطي أحيانا وبالنشر

خلع الخريف على الربى حللا   من ذائب الالوان والعطر
تاهت دمشق بها وعاودها   صلف المدل يتيه من كبر
عقد الغمام على مفارقها   تاجين من شرف ومن فخر
عصفت بها الاحداث من قدم   حسدا لها بحوادث نكر
لم يطغها ترف وما وهنت   قدم لها يوما على عسر
شابت ذوائبها وما فتئت   من روعة التاريخ كالدهر
في كل منعطف بها عظة   تروى وملحمة من الشعر

دمشق

عدنان مردم بك



عيسى الناعوري

الكاتب الايطالي غايتانو راغونيزي

بقلم عيسى الناعوري

* * *

تمهيد : في عام ١٩٦٢ دعيت لالقاء محاضرات في جامعة باليرمو ، في صقلية ، وهناك عرفت الكاتب الايطالي الاستاذ غايتانو راغونيزي ، أحد اساتذة كلية الآداب في الجامعة عينها . وكان راغونيزي وزميله الاستاذ جوفاني سانتجيلو ، والمستشرق الاستاذ أومبرتو ريتسيتانو ، يجلسون معي الى الطاولة التي ألقيت من خلفها محاضرتي عن رواية «الفهد» . ثم اشتركوا في الرد على اسئلة المناقشين ومناقشاتهم حول أمور مختلفة من الادب الايطالي المعاصر في الجلسة عينها ، ثم في الندوة التي تلتها في اليوم التالي.

وفي تلك الاونة تفضل راغونيزي فاهدى الي كتابه «الادب الروائي في القرن التاسع عشر». كما تفضل سانتجيلو فاهدى الي كتابا له عن الروائي الايطالي الشهير «فيرغا» والدراسات النقدية التي كتبت عنه. وعنوان الكتاب «النقد الفيرغوي» .

ثم عدت فلقيت الصديقين مرة أخرى في جامعة باليرمو .وتفضل راغونيزي فاهدى الي كتابه الجديد الضخم «تفسير فيرغا ـ دراسات وأبحاث» .

وأرى الان لزاما علي ان أتحدث عن هذا الكتاب الجديد القيم الذي يبحث في أدب واحد من عمالقة الادب الايطالي الحديث ، هو (جوفاني فيرغا) الذي يعتبره الايطاليون أبا للرواية والقصة في القرن العشرين ، وزعيم المدرسة الواقعية .

وقبل ان أتحدث عن كتاب الصديق راغونيزي لا بد لي من الحديث عن هذه المدرسة الواقعية وزعيمها فيرغا ، اولا ، لكي يعرفه القارىء العربي ، ويدرك أثره في الادب الايطالي.ذلك لان من العبث ان اتحدث عن كتاب مكرس لدراسة ادب فيرغا دون ان يعرف القارىء من هو فيرغا هذا ، وما هي اهميته ، وآثاره الادبية .

فيرغا والمدرسة الواقعية : اذا كانت المدرسة الادبية الواقعية في فرنسا تعزى الى بلزاك وزولا ، ويضمون اليها ايضا دي موباسان ، وفلوبير ، فانها في ايطاليا تعزى الى لويجي كابوانا ، وجوفاني فيرغا ، ويضمون اليها غراتسيا ديليدا .

واذا كان بلزاك ، في فرنسا ، يعتبر نقطة البداية في الحركة الواقعية ، واميل زولا عامل تثبيتها ، وأديبها الاكبر ، فان الايطاليين يعتبرون (كابوانا) نقطة البداية في المدرسة الواقعية ، او الطبيعية ، وفيرغا عامل تثبيتها ، وأديبها الاكبر ، على الاخص بروايتيه الشهيرتين «أسرة مالافوليا» و «المعلم السيد جيزوالدو» .

وتختلف المدرسة الواقعية الايطالية عن زميلتها الفرنسية في أنها انصرفت الى معالجة الواقع الايطالي الصرف ، لا الانساني بشكل عام. فأشخاص روايات فيرغا ، مثلا ، كانوا صقليين مئة بالمئة ، وأشخاص روايات غراتسيا ديليدا كانوا من واقع جزيرة سردينيا ، ومن بيئاتها الفقيرة الخاملة المتالة .وقد تأثرت هذه المدرسة ـ سواء في فرنسا ، أم في ايطاليا ، بالنهضة الصناعية والعلمية في اوروبا ، وبظهور كارل ماركس وانجلز ، وما تركت فلسفتهما الاقتصادية المادية من أثر واسع في الحياة العادية في أوروبا ، حتى جعلت كل شيء يفسر تفسيرا ماديا واقتصاديا وآليا .

لقد كان جوفاني فيرغا روائي الواقعية وخلاقها المبدع ، بينما كان صديقه كابوانا ناقدها الاكبر ، وناشر فلسفتها ، بما يمتاز به نقده من حيوية الافكار والانطباعات ، الى جانب مشاركته في الخلق والابداع بما ألفه من أقاصيص وروايات ومسرحيات منتزعة كلها ـ او أغلبها ـ من واقع الحياة الصقلية .

وكان يمكن اعتبار اليساندرو مانتزوني خالقا لهذه المدرسة الواقعية قبل كابوانا وفيرغا ، وعلى الاخص بروايته الشهيرة «الخطيبان» لولا ان مانتزوني كان حريصا على الجوانب الخلقية ، يحكم على الاعمال والاشخاص في روايته على أسس خلقية ، بينما تترك المدرسة الواقعية الحكم على الاعمال والاشخاص الى القارىء نفسه ، لا الى المؤلف . كما ان هذه المدرسة كانت تحرص على عدم كشف الدناءات والمساوىء الانسانية علنا ، أو التشهير بها أمام القراء ، بل كانت تعطف على المحرومين من أبناء الشعب ، وتشيد بمزاياهم الايجابية ، واستسلامهم الى الالم والبؤس ، ودفاعهم عن الشرف ، وما الى ذلك.وهذه المزايا كلها نجدها مصورة أروع صورة في آثار فيرغا الادبية المستمدة من الحياة الصقلية الشعبية الكادحة ، المستسلمة الى المصير المحتوم .

فمن هو جوفاني فيرغا هذا ؟ ولد فيرغا في مدينة كاتانيا ، في جزيرة صقلية ، عام ١٨٤٠ ، وتوفي عام ١٩٢٢ ، بينما ولد زميله كابوانا ـ وهو أيضا من كاتانيا ـ قبله بعام واحد ـ عام ١٨٣٩ ، وتوفي قبله بسبعة أعوام (عام ١٩١٥) .

ولقد أحس فيرغا منذ حداثته بميل شديد الى الآداب ، وبحاجته الى بيئة تساعده على تغذية ميله هذا . وفي عام ١٨٦٥ غادر صقلية الى فلورنسا حيث وجد البيئة التي يريد ، فاقام فيها مدة ، ثم انتقل منها الى ميلانو ، وهناك بدأت حياته الادبية بدايتها الجدية . فاقام في ميلانو الى أن عاد منها عودته النهائية الى مسقط رأسه ، حيث توفي عام ١٩٢٢ .

في الفترة التي بدأ فيها فيرغا حياته الادبية كانت الحركة الادبية الواقعية واسعة الانتشار في فرنسا وأوروبا .وكانت قد ظهرت في مدينة ميلانو حركة ادبية جديدة اطلق على أصحابها اسم «شعث الشعور» ـ وبالايطالية Scapigliatura وهي مدرسة تمردية قليلة الانصار ، قصيرة العمر جدا ، اذ لم يزد عدد كتابها وشعرائها البارزين على الستة ، وهم : (جوزيبي روفاني ـ ايجينيو تاركيتي ـ جوفاني كاميرانا ـ كارلو دوسي ـ ايميليو براغا ـ أريغو بويتو) وكان مؤسس الحركة هو

(جوزيبي روفاني) وأما ابرز اعضائها واكثرهم شهرة فهو (ايميليو براغا). ولم يزد عمرها على عشر سنوات (من ١٨٦٠ الى ١٨٧٠) . وقد انغمس هؤلاء الشبان المتمردون كل الانغماس في حياة فوضوية بوهيمية ، وفي الكفر بكل المثل العليا في الحياة ، وراحوا ينشدون النسيان في تعاطي الخمر والافيون . وكان لذلك طبيعيا ان يموت بعضهم بالسل والاسقام، وينتحر بعضهم كذلك : فقد قضى (تاركيتي) بالسل وعمره ٢٨ سنة ، وقضى (كاميرانا) منتحرا ، ومات (براغا) ــ وهو أشهرهم ــ ولم يتجاوز السادسة والثلاثين من عمره .

عند ظهور هذه المدرسة المسلولة ــ او المسطولة ... ــ كان فيرغا في حدود الثلاثين من عمره .وفي عز انتشارها كان قد وصل الى فلورنسا ، ثم انتقل ابان حياتها الى ميلانو ــ مهد هذه الحركة ــ وفي هذه الفترة جاءت اعماله الادبية مزيجا مضطربا من أثر الواقعية الفرنسية ، والتمردية الفوضوية الميلانية ــ فوضوية شعث الشعور ــ وهذه الاعمال التي انتجها فيرغا في هذه الفترة هي : (خاطئة ــ حكاية بلبل ــ النمر الملكي ــ ايروس ــ وحواء) . وعلى الرغم من النجاح الذي لقيته هذه الروايات فانها لم تبلغ السمت الذي كان فيرغا يتوق الى تحقيقه .ولم يهتد الى حقيقته الفنية الا حين سلك الواقعيةالادبية. فهناك رسخت شهرته بين عمالقة الادب الايطالي ، ولا سيما حين ظهرت روايتاه الشهيرتان : ((اسرة مالافوليا ــ والمعلم السيد جيزوالدو)) المستمدتان من واقع الحياة الصقلية المتألمة ، وحين اصبح شخوصه ممن يدعوهم باسم ((المغلوبين)) .

بدأت الفترة الجديدة في حياة فيرغا الادبية بقصة عنوانها ((نيدا)) ظهرت عام ١٨٧٤ ، ثم تلاها بعدد من المجموعات القصصية الواقعية الاخرى في كتبه التالية : (حياة الحقول ، ١٨٨٠ ــ خبز أسود ، ١٨٨٢ ــ أقاصيص قروية ، عام ١٨٨٣ ــ في الطرقات وغيرها . الا ان فيرغا بلغ الذروة في روايتيه الكبريين (أسرة مالافوليا ــ والمعلم جيزوالدو) وقد ظهرت الاولى عام ١٨٨١ ، والثانية عام ١٨٨٩ .ويمكن ان تضاف اليهما روايتان أخريان ، هما : (زوج ايلينا ، ١٨٨٢ ــ ومن حصتك على حصتي ، عام ١٩٠٦) في هذه الروايات كان فيرغا منصرفا قبل كل شيء الى النظر الى الانسان في عفوية أحاسيسه وأعماله ، والى الدنيا في الاعيبها العجيبة .فهو شديد العطف على الضعفاء ، والمتوهين ، والمغلوبين على أمرهم ، الذين يحنون رؤوسهم لمصيرهم ، يتفهمهم بعطف عميق حتى في أخطائهم .

لقد اهتدى فيرغا اذن الى نفسه ، اذ عاد بروحه وقلمه من دنيا القصور الباذخة والحياة المترفة في المدينة الصاخبة ليستروح عبير أرضه الصقلية ، ويعيش مع شعبه الفقير الساذج ، ويتذوق طعم الخبز البيتي اللذيذ . لقد أفلحت الواقعية في ان تجعله يعيش بسلام مع نفسه ، ويستمد فنه مما كان يعيش في أعماق نفسه من بيئته الصقلية الاولى .

راغونيزي،و((تفسير فيرغا)): بعد هذا الذي رأيناه من أهمية فيرغا في الادب الايطالي المعاصر ، ليس غريبا ان يتصدى لدراسته عشرات من كبار الكتاب والنقاد الايطاليين ، وأن تصدر حول حياته وأدبه عشرات الكتب ، ومئات الابحاث في الصحف ، والكثير من الشروح والمنتخبات الادبية .فلقد عني بدراسته وتحليل أدبه عمالقة النقد الادبي في ايطاليا ، وعلى رأسهم الناقد الاشهر بنيديتو كروتشي . وكان من بين من تخصصوا في دراسته ، والكتابة عنه ، وتدريس آثاره الادبية ، الصديقان الكبيران غايتانو راغونيزي ، وجورجيو سانتنجيلو، من أساتذة كلية الفلسفة والآداب في جامعة باليرمو . اما سانتنجيلو فقد أصدر كتابا بعنوان ((النقد الفيرغوي)) درس فيه أبحاث مختلف الدارسين والنقاد الايطاليين الذين عنوا بدراسة فيرغا وآثاره الادبية ، واستعرض آراءهم وناقشها نقاش الخبير الواعي لموضوعه . ثم أعاد طبع الكتاب مرة أخرى في الاعوام الاخيرة ، واضاف اليه فصولا جديدة استكمالا للبحث .

واما راغونيزي فقد جمع في كتابه ((تفسير فيرغا)) كل ما كتبه من أبحاث تتعلق بهذا الاديب الروائي الكبير منذ عام ١٩٣١ حتى عام صدور الكتاب (١٩٦٥) .وقد جاء كتابه هذا في ٣٢٨ صفحة من القطع الكبير ، مشتملا على أحد عشر فصلا ، كلها فصول واسعة مطولة . وفي هذه الفصول درس راغونيزي مؤلفات فيرغا في عهد الشباب ، كما درس بواعث الحلم في أعماله الادبية في عهد النضج ــ وقارن بين فيرغا وفلوبير الفرنسي ــ وبينه وبين مانتزوني، واستعرض رأي بيراندللو ــ عملاق المسرح والرواية والقصة الايطالية المعاصرة ــ في فيرغا .وكذلك درس اثر مدرسة ((شعث الشعور)) في مؤلفاته الاولى في مطلع حياته الادبية .هذا الى فصول اخرى في دراسة مؤلفاته كلها دراسة تحليلية استقصائية عميقة .

في الحديث على مؤلفات فيرغا في عهد الشباب يقول راغونيزي : ((استيحاء الخبرة الانسانية مباشرة ، وخلع بعض الاحداث والاحوال الشخصية الواقعية على الاشخاص وعلى اعمال الخيال الشعرية مرارا غير قليلة ، هذا كان الاسلوب ــ ان لم نقل الهدف الملازم ــ الذي ظل جوفاني فيرغا امينا له في روايات عهد الشباب...ولسنا نعجب حين نرى أن فيرغا قد انتزع دوافعه وحوافزه في رواياته الوطنية الاولى من حياة جزيرته صقلية المضطربة حين كانت تسير نحو الوحدة الايطالية سيرا يطوي معاني المأساة ، وكذلك من نشاطه الخاص في حياته الوطنية والصحفية)) .

ويرى كذلك ــ ويرى معه نقاد آخرون ــ ان حياة فيرغا في مدن الشمال الايطالي الكبرى ــ ولا سيما فلورنسا وميلانو ــ قد تركت آثارها الواضحة في عدد من رواياته .ولكنه يرى كذلك ان هناك تأثيرات أخرى مباشرة في بعض رواياته ، ومن اهمها تأثير الروائي الفرنسي فلوبير ، مؤلف ((مدام بوفاري)) و ((التربية العاطفية)) ، وتأثير الروائي الايطالي اليساندرو مانتزوني ، مؤلف الرواية الكبرى ((الخطيبان)) . ثم لا ينسى ان يشير الى مدرسة ((شعث الشعور)) في بعض مؤلفاته الاولى . وهو يذكر المؤلفات الفيرغوية المتأثرة بالاخرين، ويناقشها ، ويبين مواطن التأثر فيها ، مقارنا بينها وبين الآثار التي تأثر بها فيرغا .

وهذا الذي يستعرضه راغونيزي استعراضا سريعا في الفصل الاول من كتابه يعود فيفصله تفصيلا وافيا في الفصول اللاحقة . ففي الفصل الذي عنوانه : ((فيرغا وفلوبير)) يبدأ بالمقارنة بين رواية فيرغا التي عنوانها ((زوج ايلينا)) ورواية ((مدام بوفاري)) لغوستاف فلوبير : يقارن بين شخصيات الروايتين ، وكلام الروايتين وأحداثهما ، ليبين وجوه الشبه ، او على الاصح وجوه التأثر .وهي مقارنة تجعلنا نلمس مدى تأثير فلوبير في أدب فيرغا ابان شبابه . وقد رأينا في ما تقدم عن المدرسة الواقعية ان فلوبير كان من كبار قادة هذه المدرسة الفرنسية التي تأثر بها المذهب الواقعي الايطالي تأثرا مباشرا .

وفي الفصل الذي عنوانه (اللغة العامية في رواية ((الخطيبان)) وروايات فيرغا) يعقد راغونيزي مقارنة طويلة أخرى بين فيرغا وسلفه مانتزوني .ولقد سبق ان ذكر راغونيزي نفسه في الفصل الاول من كتابه ((الادب الروائي في القرن التاسع عشر)) ان مانتزوني كان حجر الاساس في الواقعية الايطالية.وقال : ((بعد الثورة التي قام بها مانتزوني في الصياغة النثرية في رواية ((الخطيبان)) نجد نقطة الالتقاء بين مختلف الاتجاهات الروائية في ايطاليا في القرن التاسع عشر في روايات فيرغا، أعني في واقعيته الراسخة المتمكنة ، التي هي موسيقية اساسية كذلك .ان واقعية ((الخطيبان)) تتجدد عميقة في الكاتب الصقلي فيرغا.))

وفي الفصل الثاني من الكتاب عينه يقول راغونيزي ان فيرغا ((تلميذ كبير لمانتزوني)) . ويضيف : ((ان لحب فيرغا للصيغ الثابتة المتماسكة اكثر من نقطة اتصال واحدة مع صفاء الاسلوب المانتزوني))

على أن هذا الذي قاله راغونيزي هناك في كتابه «الادب الروائي في القرن التاسع عشر» كان يتعلق بالشكل وحده . اما هنا في كتابه الجديد «تفسير فيرغا» فانه يتناول الشكل والمضمون معا . واول ما يتناوله رواية «نيدا» لفيرغا ، فيجد ان هذه المرأة ـ نيدا ـ « في صورتها المصفرة جسدا وروحا قد أخذها فيرغا اساسا من الصور التي ابدعها صاحب «الخطيبان» بشكل مدهش » .

ولا يقف راغونيزي عند رواية «نيدا» وحدها ، بل يمضي في تحليل عدد آخر من روايات فيرغا في شبابه وكهولته ، ويعقد بينها وبين رواية «الخطيبان» مقارنة ضافية ناجحة جدا ، تجعلنا نحس معه بطابع مانتزوني واضحا صريحا ، ونثق بصحة قوله في ختام المقارنات المتعددة في ذلك الفصل : «يبدو ان المثال الكبير الذي تقدمه رواية «الخطيبان» قد شغل فيرغا في سباق مباشر مع مانتزوني ، كأنما يعترف اعترافا جازما بأن مانتزوني أستاذه ، وقوله : «وهكذا يختم فيرغا حلقة أعماله الروائية ، التي كان قد بدأها برواية «الحب والوطن» ، محافظا على ما يشبه الامانة المثالية لقمة أعمال مانتزوني الادبية . ولكنها أمانة من أعطى الادب الايطالي اعمالا اخرى جديدة في القمة » .

ولست أريد ان اقف طويلا عند الفصل الذي عنوانه « فيرغا في نظر بيرانديللو» ، على الرغم من أهميته ، فهو يستعرض فيه خطابا كان بيرانديللو قد ألقاه في مدينة كاتانيا ـ مسقط رأس فيرغا ـ عام ١٩٢٠ ، بمناسبة العيد الثمانين لمولد فيرغا . ولكن ما يهمنا من هذا الفصل ما قاله راغونيزي في مستهله عن علاقة فيرغا وبيرانديللو ، وهو : «اذا قارنا بين بيرانديللو وفيرغا ، يبدو لنا جليا ان الكاتب الاغريجنتي ـ نسبة الى أغريجنتو ، بلدة بيرانديللو ـ قد عرف الكاتب الكاتاني ـ نسبة الى كاتانيا ، بلدة فيرغا ـ وأعجب بأعماله الادبية . وهناك مشابه غير منكورة بين هذين الكاتبين اللذين أنجبتهما صقلية ، الا أن هذه المشابه روحية اكثر منها لغوية ، او مشابه اسلوب وفن» . وفي مكان آخر يذكر راغونيزي أن بيرانديللو كان يعتبر فيرغا «معلمه» .

ونجيء الان الى الفصل الذي عنوانه «ملاحظات حول فيرغا وذوي الشعور الشعث» ، لنرى أثر هذه المدرسة «الخنافسية» ـ ان جاز لنا التعبير ، لما بين أصحاب تلك المدرسة الميلانية وبين خنافس بريطانيا اليوم من شبه في المظهر وفي الاستهتار ـ في بواكير أدب فيرغا . يقول راغونيزي في مستهل هذا الفصل : «في السنوات العشر التي كان فيها فيرغا ينشر بواكير رواياته ، كانت قد ازدهرت في ميلانو اسرة من الشعراء لقيت أهمية تاريخية مرموقة في أدبنا الايطالي الحديث ، وقد دخلت في التاريخ باسم «مدرسة الشعور الشعث الميلانية» . ونحن نعرف ان هذه المدرسة قد عبرت عن تذمر روح الزمن . وواضح الان ان مأساة ذوي الشعور الشعث كانت صراعا بين الواقع والمثالية يعذب نفوسهم ... وبدقة اكثر ، كانت تعني قلق الانسان الموزع بين الواقع الذي يسمره الى الارض ولا يمنحه الرضى ، واللانهاية البعيدة المنال التي تجتذبه اليها ... غير ان هذه الاسرة كان في حضنها اتجاهات واقعية نلمسها واضحة حية في «براغا» ـ وهو اشهر أعضائها ـ »

ثم يتحدث راغونيزي عن فيرغا فيقول : «كان لمؤلفات فيرغا في عهد الشباب اكثر من نقطة التقاء واحدة مع مؤلفات براغا . وقد أشار اكثر من ناقد الى ان كاتبنا هذا قد تأثر بهذه الاسرة» . ثم يذكر بعض المشابه التي رآها النقاد ، ويشير الى ان فيرغا كان في نحو الثلاثين من عمره حين وصل الى ميلانو ، واتصل بأعضاء هذه الاسرة ، وصادق أكثرهم . على انه يعود فيقول، بعد سرد المشابه التي تأثرت بها روايات فيرغا بهذه الاسرة : «على أنني لا أعتقد ان في وسعنا ان نتحدث عن تقليد مباشر من فيرغا لهذه الاسرة» . وفي مكان آخر يقول : « وعلى كل حال لقد كانت مسالك الكاتب الصقلي وتصوراته الشبيهة بمسالك الكاتب الميلاني ـ ويعني به «براغا» ـ وزملاءه من ذوي الشعور الشعث وتصوراتهم ، تنبع من حافز كان ظاهرا لديه منذ الحداثة . ونحن انما نبرز هذه المشابه لكي نظهر ان فيرغا قد أحس بالتذمر الروحي الذي كان ميزة الزمن ، والذي كان يتمثل في أدب المدرسة الشعثاء » .

ان هذه المقارنات الطويلة الممتعة التي يسوقها الصديق راغونيزي في كتابه الضخم النفيس ، لا تعني التقليل من قيمة أدب فيرغا ، مواطنه الصقلي ، بل على العكس ، تبرز اهمية هذا الروائي الكبير ، صاحب «اسرة مالافوليا ـ والمعلم السيد جيزوالدو » التي جعلته يشغل أقلام الباحثين والنقاد منذ مطلع هذا القرن حتى اليوم ، وسيظل يشغل أجيالهم الى ما شاء الله .

وليس هناك من عبقري لم تجد اقلام النقاد آثارا بارزة في أدبه ، ومشابه بين آثاره وآثار عباقرة آخرين من مختلف العصور . وعهدنا بالشاعر الايطالي الاعظم دانتي اليفييري والضجة الكبرى التي ثارت حول «كوميديته الالهية» ما يزال حيا امامنا . ولكنها ضجة لم تستطع ان تنقص شيئا من قيمة أدب دانتي ، بل على العكس ، زادت من أهميته وشهرته وذيوعه . والعظماء يخلص أدبهم ويزداد جلاء وصفاء كلما ازداد حك معدنهم بالنقد والدراسة .

عمان — عيسى الناعوري

المطر والنوافذ المضيئة

هي الريح لا غيرها ، في ليالي السهاد ،
ليالـي السهـر .
هي الريح لا غيرها ، في احتجاب القمر
هي الريح تأتي ، تغني . ووقع المطر
على الشرفات : غناء الطيور ،
ثغـاء الخراف ،
نقيق الضفادع في جنبات النهر ،
وشدو الجداول في المنحدر ،
وهمس الحلي ، وضحك الجواري العراب،
ولحن الوتـر !
« فيا غيمة انى شئت امطري »
وعودي علينا بوفر وخير
لتخضر دنيا بحضن الشتاء
وتزهو السنابل بين الزهر
وتجلو السنونو سماء الربيع
وتسعد أم ،
ويلعب في الشمس طفل وهر .
فيا ريح غني فأنت الحنان
ويا غيم هيا ، فرو التراب
لان المطر
على الشرفات ، غناء الطيور
ولحن الوتر !

دمشق — صباح الدين كريدي

قصة

الممنوع

بقلم عبد الخالق الخولي

رفع الرجل عينيه عـن الجريدة ، والتفت نحوي وقد وشت نظرتـه عن رغبة في الحديث . ثم عاد ينقل بصره بيني وبين الجريدة ، وكـأن رموشه تطول وتطول ، حتى لتكاد تتشابك مع رموشي وتشد عينـي لتقرأ ما انتهى هو لتوه من قراءته ، ثم قال بحدة ، دون ان ينتظر حتى ان افرغ من قراءة ما اشار اليـه باصبعه :

اتصدق ؟. هذا كذب . كـلام جرائد . انا لا اعرف من انـت ، ولا من تكون واكلمك ، لاني احس برغبة في الكلام . وان تحس برغبة في الكلام وتتكلم فعلا ليس بالامر السهل . ولكن لا بد ان تتكلم فالكلام شيء رائع . أروع شيء في الدنيا ان تقول ما تريد قوله .

انا موظف ، ولي مرتب وعلاوات صرفتها او لم اصرفهـا لا اذكر ، اتصدق . حولت مرتبي على البنك من اجل سلفة ، انها مبلغ صغير . انا أب ولي خمسة اولاد ، اربعة في المدارس ، وكلهم يأكلون ويبدو انهم لا يشبعون ، اتصدق . وام محمود مريضة . نظرها ضعيف ، ولا ترى علـى بعد متر . انا نقلـت من كفر الشيخ الى مصر . مصر جميلة اي نعم . وفيها دكاتـرة واساتذة متخصصون يمكنهم علاج ام محمود اي نعم . قال الدكتور مرة ان النظر نعمة . وام محمود تصرف ثمانيـة جنيهات في الشهر . أقلت لك ان لي خمسة اولاد يأكلون ويتعلمون ، لا تؤآخذني انها الرغبة في الحديث. انا اسكن في المنيره . هناك بجوار خط المترو . قطار حلوان . هـل رايت المنيره ايام الفيضان . انـا اسكن في بدروم والمياه حولنا من كل جانب غمرت درجات السلم . كان لابني كلب كان يجري وراءه ، هناك في كفر الشيخ . وابني حزين جدا هذه الايام . لقد هرب الكلب ، خرج يوما ولم يعد . وابني حزين ، كثيرا ما يسألني عن سبب هروبه وانا ادخل البيت من النافذة وابني حزين لهروب كلبه ، اتصدق .

كنت اقول اني حولت مرتبي على البنك من اجل سلفة . ثلاثة شهور . والسلفة تسدد على عام ونصف . لا بد انك تعلم . وقد دلنـي بعض الناس على شقة خالية ، اتصدق ؟. ولكني ذهبت . وكان للرجل فـي جبهته (زبيبة) صلاة . وكان من ذلك النوع الذي يوهمك من اول نظرة بالتقوى ، فلا تملك الا ان تثق به . هل تعلم ، لقد طلب خلوا . اتصدق ؟ طلب الرجل مائة جنيه . انا موظف وعملي متصل بالجمهور . للناس عندي مصالح . بعضهم يعزم علي بسيجارة وانا لا ادخن . ولـم افكر ابدا يوما ان ادخن . الم يعزم عليك واحد مرة بسيجارة وتقبلتها . نحن شعب يقدم السيجارة وسيلة للتعارف . للتعارف هه . انت تعلم ذلك . والسيجارة لهـا سحر . ودائما تذكرني بمرض ام محمـود وبصرها الذي اوشكت ان تفقده . والدكتور قال ان النظـر نعمة . والناس يصرون دائما ان يعزموا علي بالسجائر . ولكني خائف ان يخطرني التفكير في مرض ام محمود ان تمتد يدي وتقبل مرة سيجارة واصبـح مدمنا . لم يكن يخطر على بالي مطلقا ان ادخن وانا في كفر الشيـخ . الناس هناك طيبون . تألموا جـدا لفراقي واعطوني خطاب توصية من اجل شقة ، كنت اتحفظ عليه في جيبي واظنه خاتم سليمان الـذي يفتح كل متغلق . لقد ذهبت به الى المحافظة ، ولكن هل تعلم ؟ وقفت طويلا امـام موظف الاستعلامات ، وتعرضت لأسئلة واستفسارات من السكرتير الخاص للمدير . واخيرا، اخيرا حظيت بمقابلة مدير مكتـب الرجل المسئول الذي احمل اليـه الخطاب . ترى ماذا حدث :

قال لي : وتقابل سيادته ليه. .

انا هنا لعرض مثل هذه المسائل . سيادتك تعال بعد اسبوع .. يعني كل حين .

وطال الحين طال .. وسـافرت الى كفر الشيخ . اعطوني خطـاب توصية اخر ، من اجل شقة ايضا . هل تعلم . لقد ملأت هذه المـرة استمارة رغبات . استمارة رغبات اتصدق .

ــ اين تريد ان تسكن ؟

قلت في اي مكان .

عدد الغرف المطلوبة ؟

قلت اي عدد .

وطال الحين .. طال .. ربمـا عامين .. ربما عاما .. لم اعـد اذكر . هل قلت لك قبلا ان الرجل « ذو الزبيبة » طلب مائة جنيه . والسلفة كلها خمسون جنيها ثلاثة شهور كاملة من مرتبي خمسـون جنيها . انا لي مدة خدمة ــ خمسة عشر عاما وانا موظف ، ولي علاوات صرفتها او لم اصرفها انا لا اذكـر اتصدق . واليـوم اول الشهر نحاستي تحمل رقم ١٣٩ امامي وقت طويل . هل صرفت نحاستك انت. قطعا لا بد انها معك . ارجو الا اكون قد عطلتك . فاليوم اول الشهر . سأذهب بأم محمود الى الدكتور . موعدي اليوم لادفع ثمانية جنيهات. سنترك الاولاد وحدهم . حتـى الرضيع سنتركه مع اخوته . الكبير

اعتراف

لم أخفي الفداة عنك الحقيقه ... أنا للآن في هواك غريقه
لا تقل لي : فات الاوان فاني ... لك حتى الممات اوفى صديقه
كم تألمت حينما غبت عني ... لتداوي جراح حب عميقه
وتحملت يا صديقي خطوبا ... حرمتني من الحياة الطليقه
لم يرق بعدك الوجود لعيني ... بعد ان كان روضة وحديقه
كل يوم في وحدتي كنت أتلو ... أسطرا قد كتبتها لي رقيقه
يا حبيبي ونور عيني أجرني ... من هوى في الفؤاد زدت حريقه
وأعد لي عهد الوصال لعلي ... من دياجير سكرتي مستفيقه
انا في حاجة اليك ، ونفسي ... لم تجد للعزاء أي طريقه
كنت بالامس استحق احتقارا ... وأنا اليوم باحترام خليقه
كنت اخطأت مرة ، فاعف عني ... واطو مأساة ذكرياتي العتيقه
لست انسى وقد وقفت ببابي ... تشتكي لوعة الفؤاد وضيقه
فتجاهلت ما تعاني ، وأحرى ... بي اذ ذاك ان اكون رفيقه
أنت - لا شك - طيب القلب ، شهم ... وكريم نحو النفوس المشوقه
لن تطيق الاسى يحطم قلبي ... ويلاشي انوثتي ... لن تطيقه
فترفق بأدمعي ، وبآهي ... قد كفى هذه الخطوب المحيقه

عمان — عبد الرحمن سالم عاليه

اكثر تعقلا من الاخرين . لا يحاول ان يخوض في الماء الراكد في بير السلم . وتصور ، احيانا يخرج عن حزنه بسبب هروب كلبه ليروي لنا نكتة . انه يرويها ويضحك ، يضحك حقيقة من اعماقه ، واحس لضحكته بنفس الرنين ونفس الصفاء الذي كان لها في كفر الشيخ . ولكنه يضحك ، ثم يسكت . يصمت ليتسلل اليه الحزن بمجرد ان تزايل الابتسامة شفتيه ، كأنه يؤنب نفسه ، ويوبخها ، ويتألم لان كلبه هرب وتركه . لم يعد يصدق ما سمعه عن وفاء الكلاب . وانا قلت للرجل ذي الزبيبة أمر عليك غدا !.

قال ومعك الامانة ..

قلت تدبر يا سيدي .

وام محمود ليس عندها مصاغ . ولا حتى دبلة الخطوبة . وقال لي صديق على السلفة . وكلها عام ونصف عام ، مدة بسيطة ، اتصدق. لقد ضحك صديقي لما سألته قرضا هل قلت لك أن مدير الرجل المسئول الذي قال مر كل حين يدخن بكثرة. حقيقة فاتني ان اقول لك ذلك . وانا رجل كما سبق ان قلت لك انني لا ادخن . وهذه اول مرة اصرف فيها من البنك ، وكلها خمسة ايام واسحب السلفة .

وامس ذهبت للرجل ذي الزبيبة، وكان يسبل عينيه في خشوع ، والكلمات تخرج من فمه تمتمة هامسة لا تكاد تسمع . هل تعلم : قال خمسون . قلت نعم . هم في الحقيقة ٥ و ٤٨ وسأكملهم من مرتبي . خمسة ايام ويكون المبلغ كله بين يديك . هل تعلم قال وهو لم يزل سادرا في تمتمته الهامسة ، وجفنيه اكثر انطباقا والمسبحة (الكارم) الصفراء تتساقط حباتها من بين اصابعه ، كل حبة بدقة ، دقة غليظة مكتومة ، كدقات الصداع الذي يصيب رأسي . رأسي الان اصبح فريسة لصداع لا يفلح معه دواء . اتصدق ؟ كنت اكتب الشعر وانا في كفر الشيخ . هل تحب ان تقرأ الشعر ؟. انا نفسي كنت احب قراءته واكتبه . ولكن الصداع لم يعد يفارقني . صداع له دقات ، كدقات المسبحة الكارم الصفراء يكاد يدق عنقي . آسف كنت اريد ان اقول ان الرجل ابدى بالغ أسفه لانه اجر الشقة ، اتى من دفع فيها المائة جنيه .

نحاستي تحمل رقم ١٣٩ . وانت هل معك نحاسة. قطعا معك نحاسة. لا بد آت انت لصرف مرتبك. الصراف ينادي على رقم ٩٨ . نحاستك رقم ١٠١ . معذرة لقد اردت فقط ان احكي لك عن الرجل ذي الزبيبة والخلو الذي طلبه . ولكني خضت اشياء كثيرة . آسف لازعاجك . فابني احيانا يروي نكتة رغم حزنه على هروب كلبه . يرويها ويضحك . يضحك حقيقة . ثم يسكت . يصمت . ليتسلل اليه الحزن من جديد .

ج٠ع٠م — عبد الخالق الخولي



محمد رجب البيومي

يتحدثون عن ثورة ابن الزبير

بقلم محمد رجب البيومي

* * *

كان عبدالملك بن مروان يجلس في ساعة من ساعات ضيقه وقلقه بقصر الخلافة متأملا مفكرا وعن يمينه عمرو بن سعيد بن العاص وعن يساره أخوه بشر بن مروان .. وكان الحديث يجري عن سيطرة عبدالله بن الزبير على العراق والحجاز .. وكيف طاول عبدالملك وأعياه .. حتى نفدت الحيل وقل الرجاء فقال بشر لاخيه : يا أمير المؤمنين ان أفعال يزيد قد تركت الحجاز جمرة تشتعل ، وليس بمعقول أن تهدأ النفوس هناك فتهفو الينا مشاعر أهل الحرمين ، وهم يعلمون أننا يوم الحرة أبحنا المدينة ثلاثة أيام بعد قتال عنيف ، فنهبت الاموال وأزهقت الارواح ! وتكشف انتصارنا عن تهور فاضح هتكت به الحرمات ! واندلعت الاحقاد !!

وانبرى عمرو بن سعيد يقول : ولم يقف الامر عند المدينة بل زحفت جنودنا الى مكة فأوقعت اهلها في حصار شديد ، وقاوم عبد الله بن الزبير جيوش الخلافة مقاومة بارعة فاحبه المكيون والمدنيون ، وحفظوا له يده البيضاء في الذود عن الحرم وحماية البيت العتيق !!

فنظر عبد الملك اليهما ثم قال : نظلم يزيد اذا حملناه ملامة في ذلك اذ احرج في امره وسب في اخلاقه فارتضى الاسنة مركبا غير ذلول !!

لقد رفض المدنيون بادىء ذي بدء بيعته وجاهروه بالعصيان ، فأرسل اليهم الاموال واستقدم منهم الوفود فما نزلوا بساحته حتى غمرهم بالاعطيات الجزيلة والثراء الباهر ، وظن أن هؤلاء الذين تقلبوا في نعمته سيكونون ألسنة مخلصة تهتف باسمه وتنشر أمداحه ! ولكنهم انطلقوا بالمدينة يكفرون آلاءه ويلعنون خلافته ! ويقولون لحاه الله من صاحب لهو وشراب وحيوانات وغناء !! ثم يستمطرون عليه اللعنات فأضرموا الثورة في النفوس !! وزعزعوا دعائم الاستقرار .. ووالله لو كنت مكانه ما صنعت غير الذي كان .

فقال بشر في أدب يراجع أخاه : رويدك يا أمير المؤمنين ، فنحن لا نلوم يزيد ان حارب أهل المدينة حتى أذعنوا لخلافته ! ولكننا نلومه ان بالغ في النقمة وأسرف في الانتقام ، فحين قطفت جيوشه ثمار النصر تجبر قائدها الغاشم مسلم بن عقبة !! وأسرف في القتل اسرافا منكرا وأباح المدينة ثلاثة أيام لمن ينهب ويسلب ويهتك !! وقد كان في الاغضاء سعة ! وفي التسامح تهدئة واستتباب !!

فقال عبدالملك معقبا : حقا ان مسلم بن عقبة قد جاوز الحد فألهب الصدور .. وما أظن يزيد قد دفعه الى ذلك ولكن نشوة النجاح قد أعمته فتنكب عن الطريق .

فرد عمرو بن سعيد بن العاص يقول : لقد كنت يا أمير المؤمنين واليا على المدينة من قبل يزيد ، وسست الناس بالملاينة والاحتيال ، فغضب يزيد علي ! وأوصى مسلما بالانتقام والارهاب فهما بلا ريب شريكان فيما كان ...

واذا كان مصرع الحسين قد ألهب علينا النفوس الهابا نعاني من صعابه ما يؤرق ويخيف فان استباحة الحرمين الشريفين قد أمدت الضرام بضرام آخر فما ينقطع له لهيب!

فالتفت عبدالملك الى أخيه بشر وقال في غيظ : وقد انتهز ابن الزبير كل سانحة تحين ، فجمع حوله الناس وبنى لنفسه ملكا عجز عن انشائه الحسين بن علي! وهو من هو بين العرب والمسلمين !! فعبس بشر في أسف وقال : صدقت يا أمير المؤمنين فابن الزبير داهية اريب وقد حدثته نفسه بالخلافة منذ استخلفه عثمان رضي الله عنه على داره قبل مصرعه !! فقال في نفسه لا بد أن أجالد عليها القوم .. واني لأعلم انه ــ وحده ــ هو الذي حمل أباه الزبير على شقاق علي ، كما استطاع أن يؤثر على خالته عائشة فقادها يوم الجمل الى حرب عادت عليها بالخذلان .. أفكان يعارض عليا ويخضع بعد ذلك لبني مروان !!

فقال الملك بعد تفكير مقلق : ما أظن أحدا أدرك خوافي ابن الزبير كما أدركها معاوية بن أبي سفيان .. فقد لمس تطلعه للسيطرة ، وأدرك ما يثور في احفائه من ترصد وارتقاب فجاهده وأوعده ، وأوصى يزيد بالحيطة منه !! فيا له من خليفة بصير ...

فرفع عمرو بن سعيد رأسه كمن يستأذن في الحديث ــ فقال له عبدالملك وقد حدجه ببصر نافذ ــ

ارى على شفتيك كلاما يا عمرو فماذا تريد !!

فقال عمرو في تأدب مصطنع : أحب أن أؤكد ما قاله أمير المؤمنين فقد سمعت معاوية يناقش ابن الزبير بمكة في أمر البيعة ليزيد ، وقد أطرق القوم حائرين لا ينبسون واندفع عبدالله يقول : « نخيرك يا أمير المؤمنين بين احدى ثلاث أيها أخذت فلك رغبة وفيها اختيار ، ان شئت فاصنع فينا ما صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبضه الله ولم يستخلف ، فدع هذا الامر حتى يختار الناس لانفسهم ، وان شئت فاصنع ما صنع أبو بكر اذ عهد الى رجل بعيد ،وترك من ولده ورهطه الادنيين من كان أهلا لو أراد ، وان شئت فاصنع ما صنع عمر بن الخطاب فقد صيرها الى ستة نفر من قريش يختارون رجلا منهم وترك ولده واهل بيته وفيهم من لو وليها لكان لها اهلا » تكلف معاوية البشر واتجه بنظره الى الحسين بن علي وقال لابن الزبير « اياك أن تقع في عرانين عبد مناف أما والله لئن دفعت في بحور بني هاشم وأمية لتغطنك بأمواجها ثم لتوهين بك في أجاجها »

فتلفت عبدالملك يسأل عمرو بن سعيد : وهل سكت ابن الزبير بعد هذا التحقير!! فلجلج عمرو قليلا ثم تشجع يقول فياهتمام! ليتهسكت يا أميرالمؤمنين! لقد غلبتهسلاطة لسانه فاندفع يقول بمرأى ومشهد منالناس : اسألكم بالله أتعلمون أن ابي حواري رسول الله وان أباه ابو سفيان وأن أمي أسماء بنت أبي بكر وأمه هند آكلة الاكباد ، وجدي الصديق وجده المشدوخ ببدر وراس الكفر ، وعمتي خديجة وعمته أم جميل زوجة أبي لهب وخالتي عائشة أم المؤمنين وانا عبدالله !! فبهت معاوية وانتقل بالحديث الى غرض بعيد !!

اكتأب عبدالملك لما جاء على لسان عمرو فهو يعرف من دخيلته ما يوحي بشماتته وحقده وها هو ينتقص معاوية على لسان ابن الزبير ليجرح الخليفة من طرف خفي .وكأن بشرا لاحظ ما يدور بنفس الخليفة فعجل يقول :

«لقد سمعت ما قلته يا عمرو .. وازيدك أن معاوية اجتمع به ليلين قناته الصليبة في أمر يزيد فأطرق مفكرا ولم يجب فقالله معاوية ما لي أراك مطرقا اطراق الافعوان في أصول الشجر فرد في سرعة جاهدة أنا أناديك ولا أناجيك أخوك من صدقك القول لا من كذبك الحديث ففكر في الامر قبل ان تندم يا أمير المؤمنين.. »

فقال عبدالملك يعقب على صاحبيه : ان انسانا اتعب معاوية واحرجه ، لا بد ان يتعب عبدالملك ويضنيه !! ثم نظر الى عمرو ولم يتكلم فتقابلت العينان لتفصحا عن سر كظيم ولكن بشرا يوجهالحديث الى عبدالملك ويقول ملاطفا:

لا عليك يا أمير المؤمنين .. فسحابة ابن الزبير ستنقشع عن قريب .. ولئن انتصر معاوية على علي في مكانته ورئاسته وسابقته فمثلك من يستطيع سحق ابن الزبير بجهد يسير ... فنظر عبدالملك الى أخيه ثم قال: لقد انتصر معاوية على علي لان ابن أبي طالب – شهد الله – صريح لا يمالىء ولا يخادع أما ابن الزبير فمراوغ خداع يناديك من اليمين ويثب عليك من الشمال وفي موقفه الاخير من العراق ما يعطي الدليل .

فتعجل بشر يسأل متجاهلا وماذا أتاك عن موقفه بالعراق يا أمير المؤمنين .

فزفر عبدالملك كمن ينفس قليلا عن برح كظيم وقال : لقد لمس ابن الزبير موجة الندم على مصرع الحسين تغمر النفوس فشجع المختار الثقفي على قتال ابن زياد فقذف المختار بعدته وقوته وجالد بشيعته وذويه حتى أدرك النصر وقتل صاحبنا في عرينه ثم حمل رأسه الى ابن الزبير بمكة واستتب له الامر بالعراق فأصبح صاحب الكلمة الاولى واذ ذاك تألب عليه ابن الزبير فأشاع عنه الاراجيف وملأ الجو حوله بالسموم !! حتى شك الناس في أمره وغايته !! ولم يلبث أثناء هذه البلبلة المضطربة ان بعث اليه بمصعب أخيه فأخذه على غرة وقتله مع أكثر من معه ! ثم أعلن نفسه حاكما على الكوفة واصبح العراق والحجاز من الان في حوزة الزبيريين !!

فقال بشر مغتاظا ولماذا سكت الخليفة عن الفريقين دون أن ينتهز هذه الوقائع فيسير بها الى ما يرضيه !!

فعجل عبدالملك بقوله : هما عدوان لدودان فلنترك أحدهما يأكل الاخر .. فاذا افترسه وخرج من الحومة متعبا ، توجهنا اليه باذن الله !! وهذا ما أفكر فيه !!

فقال عمرو بن سعيد في تخابث حيا الله أمير المؤمنين ووفقه فيما يريد !! غير اني احاذر ان يمتد الحبل لمصعب في الكوفة فتثبت دعائم أركانه هناك ويشد عضد أخيه بالحجاز فنصبح منهما على خطر عظيم ، واذا كان لي بعض الرأي لدى الخليفة فاني أرى المبادرة في السير الى العراق لنجالد الزبيريين ..

فنظر عبدالملك الى عمرو كمن يستشف في نفسه مكيدة تنسج خيوطها تحت أستار الظلام .. ثم طوى ما هجس في نفسه من شك في صاحبه وقال متجاهلا :

ان الخوارج لن يسكتوا عن مصعب وقد جاءتني الانباء أن القتال بينهم سجال !! فلنترك هذا الظافر المنتصر يصطدم بعدوه الجديد .. ولتعلمن نبأه بعد حين.

فقال بشر مندهشا : هل اختلف الخوارج مع ابن الزبير يا أمير المؤمنين ؟ لقد كان يرمض احشائي ان أجدهم على وفاق أكيد ...

فقال عبدالملك في صدق : يا بشر ، انت تعرف خبث ابن الزبير وقد مالأ القوم في مبدأ أمره فأوهمهم أنه ينشد الحق الذي ينشدون !! واستمال فريقا منهم بدعوى الصلاة والزكاة والخشية من الله !! ولكن فريقا آخر قد اكتشف طويته ففضحوه بأسئلتهم المحرجة ! وتكشفت الاجابة عن شقاق عنيد !!

فأسرع بشر يقول متهللا : لقد خفي عني ما جد من أمر الخوارج مع ابن الزبير فماذا عند أمير المؤمنين .

فاعتدل الخليفة في مجلسه ونظر الى اخيه نظرة مخلصة وقال : جاءتني أنباء الامس أنهم أحرجوه بالاسئلة الصريحة فسألوه عن رايه في أبيه الزبير وفي عثمان وطلحة وعلي وعائشة فأمهلهم بعض أيام وهم لا يرضون منه بغير تكفير الجميع ... حتى اذا ضيقوا عليه سبيل الانتظار قال في خداع ماكر «ان الله أمر في قتال الكافرين بأرأف مما تودون فقال لموسى واخيه في فرعون: «فقولا له قولا لينا لعله يذكر أو يخشى» وقال صلى الله عليه وسلم لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات فنهى عن سب ابي جهل من اجل عكرمة ابنه وأبو جهل عدو الله وعدو رسوله الامين ، وقد كان يغنيكم عن هذا القول الذي سميتم فيه طلحة والزبير ان تقولوا أتبرأ من الظالمين فان كانا منهم دخلا في غمار الناس وان لم يكونا منهم لم تحفظوني بسب أبي ، وهذا الذي دعوتم اليه أمر له ما بعده وليس يقنعكم الا التصريح ولن ارضى به» فتفرق عنه القوم ناقمين ، وحاربهم مصعب فباء منهم بشر مستطير .

فقال بشر في فرح : الحمد لله لم ينفع ابن الزبير احتياله الدقيق فارتطم بطود مكين !!

فقال عبدالملك ، معقبا على أخيه وسأتهيأ بجند الشام ، للخروج اليه في مأزقه فيقع بين أسدين كاسرين واغنم الفوز عن قريب .. ثم رفع عينيه الى عمرو وقال في تطلع كن معنا يا ابن سعيد !! فأنت منا ونحن منك !!

فاضطرب عمرو كمن أحس سهما يتوجه اليه وقال في حيرة أنا فداء أمير المؤمنين .. وادرك بشر ما يجول في خاطريهما عن فراسة صادقة !! فاستأذن من اخيه كي ينهض مع عمرو في جولة بالغوطة بعد ان تشعب الحديث.

قام الرجلان فودعهما أمير المؤمنين .

توجه عبدالملك بعد أيام بكتائبه العديدة الى العراق ، ولم يتجاوز أرباض عاصمته حتى جاءه النبأ بثورة عمرو بن سعيد عليه في دمشق ، واغتصابه امارة المؤمنين واحتلاله قصر الامارة فدعا بشرا أخاه وقال له في أسف حائر لقد قرات والله ما بنفس هذا الآثم المجترىء ليلة اجتمعنا معا بدار الخلافة نتناقش في أمر ابن الزبير ولمحت في تخاوص عينيه دليل الغدر والخيانة ، وأفهمته حينئذ عن طريق التلميح ما وقع في نفسي منه !

فقال بشر وقد أدركت ذلك يا أمير المؤمنين فعجلت بالانصراف معه الى الغوطة وأخذت أتصرف معه في شجون من القول لاستديم ولاءه فما انصاع الى قبول ، واني أطمع أن يوفدني أمير المؤمنين الان ، فأعرض عليه – خديعة واحتيالا – ولاية العهد فأستميل خاطره ثم ارى ما يتكشف عنه عناده الغدور فقال عبدالملك في انقباض متجهم .. عليك به ان شئت فأبلغه ما تريد .

تابع الجيش الشامي سيره الى الكوفة يقوده عبد الملك مبديا من البسالة والصبر ما بعث في نفوس قومه كثيرا من التفاؤل والاقدام وقد التزم سياسة التواضع والرفق ، فكان يسأل كل جندي من رجاله عن مأمله ومبتغاه وتبسط في الحديث مع السوقة حتى ضمن اخلاصهم ووفاءهم !! ولم يشأ ان يشن الحرب فجأة على مصعب ، فتتلاحم قوتان متكافئتان ، احداهما غريبة نائية لا تعرف منعرجات الطريق وملتمسات النجاة والاخرى قريبة تملك من المعرفة والدربة ما تحوز به التفوق والانتصار ، بل لجأ الى الحيلة والدهاء .. فبعث بعيونه الى أجناد مصعب يستوضحون أمره ويكتشفون غوامضه ، وأتوا اليه يعلنون ما شاهدوه في نفوس الجند من التذمر والغضب فالامير الزبيري كأخيه عبدالله شحيح بخيل لا يجود عليهم بغير ما يمسك الرمق من الكفاف الضئيل ، وقد سئموا معاناة التقشف ومكابدة الحرمان !

فأخذ عبدالله يفكر في الامر تفكير المنتهز المباغت ، واستعرض ما حمله من أوساق الذهب وأحمال الفضة فرأى شيئا كثيرا يبهر العيون ويجذب الاعناق ، فبعث بكتبه الى قادة كتائب مصعب وأخوانه !! وجعل يمني كل قائد بالولاية ويغريه بالذهب ، حتى انجذبت له النفوس عن رغبة واحتفال ...وجاءت اليه ردود القوم تعلن ولاءها الخالص وانضمامها الى جيش الشام حين تأزف الساعة المنتظرة ، ولم يشذ عن القواد غير ابراهيم بن الاشتر وقد آثر الوفاء على الغدر ولم يأخذ مقلته بريق النضار أو تمل بنفسه أحلام الامارة .. فعرض كتاب عبدالملك على مصعب وأخبره خبر زملائه من القواد ثم اقترح عليه ان يبيدهم بسيفه كيلا يفسدوا الجيش اذا دارت الرحى وحمي الوطيس ولكن مصعبا خاف العاقبة وتريث في الامر حتى يهتدي الى السبيل ، ولم تلبث ان فاجأته جيوش عبدالملك فتزعم الجند وأبدى من ضروب البسالة والحمية ما أكبره به أعداؤه ومبغضوه !! ولكن الخيانة تتطلع برؤوسها ، وشعاع المال يجذب اليه قلوب ذوي المطامع فخذله أعوانه في موقفه الحاسم ومأزقه الكريه !! ونظر فاذا القلة القليلة من ورائه والكثرة الكاثرة الب عليه مع خصومه .. فغامر بروحه ونال الشهادة كريما مهيبا لم تخفض له رأس ، أو يلحقه هوان ..ثم دخل عبد الملك الكوفة وقد ضم العراق الى خلافته فبايعه اهلها طائعين راغبين فخطبهم مبتهجا بما نال وأرهب ورغب وبشر وأنذر ، ثم رجع مسرورا الى دمشق .. وقد أسند الى الحجاج بن يوسف الثقفي أمر ابن الزبير بالحجاز آملا ان تحين نهايته عن قريب !!

وطارت الانباء الى عبدالله بمكة فلاعه مصرع أخيه لوعة اليمة ، واراد ان يعلن النبأ الفاجع الى معشره فصعد الى المنبر ليقول بعد ان حمد الله الا ان خبرا من العراق أتانا فأحزننا وافرحنا ، فأما الذي أحزننا فان لفراق الحميم لذعة يجدها حميمه ثم يرعوي ذوو الالباب الى الصبر

الناس

قد حرت كيف اسوس الناس قاطبة
وكيف أجمل حبي في صدورهم
لئن شممت شذا من نبل بعضهم
وان كبحت لساني عن مثالبهم
وان تصاممت عما أرجفوا ، حسبوا
وان تغاضيت عن لؤم به نكبوا
وان رددت الاذى الطامي لنحرهم
قد حرت في امرهم ، لا در درهم
فليغفر الله ما قالوا ، وما اجترحوا
فان صدري رحب لا يضيق بما
اني تعودت من دهري مدى عمري
ومن بلا الناس مثلي ، لا يقيم لهم
فمن اتى البحر بالنيران يضرمه
والحلم كالفجر ان وافت مواكبه

وكيف اطفىء حقد الصدر مضطرما
ـ وقد زرعت بكفي ـ ينبت الكرما
فجلهم من فؤادي قد أسال دما
تعففا ، قيل : يخشى البطش والنقما
ـ يا للغباوة ـ اني اشتكي الصمما
راحوا يذيعون اني مبتل بعمى
قالوا : فتى الشعر للخلان قد ظلما
ولا الى الشر يوما حركوا قدما
من المآثم ، مهما اثمهم عظما
يأتون من منكر مهما طغى وطما
ان أشرب الصاب من كأسيه والالما
وزنا ، اذا التهبت احقادهم حمما
رآه يطفىء غيظ الجمر محتدما
راحت تبدد من جيش الدجى الظلما

صيدا — محمد العدناني

وكريم الاجر وأما الذي أفرحنا فان قتل مصعب له شهادة ولنا ذخيرة أسلمه الطغام الصم الآذان أهل العراق وباعوه بأقل الاثمان فان يقتل فقد قتل أخوه وأبوه وابن عمه وكانوا الخيار الصالحين !! أو ما والله لا نموت حتفا كما يموت بنو مروان ولكن قعصا بالرماح وموتا تحت ظلال السيوف!!ثم نزل ليأخذ اهبته لقتال باسل ، وكفاح مرير!

وفي يوم عابس رهيب تتدفق جيوش الحجاج من الشام والعراق على جبل أبي قبيس بمكة ثم تنصب على هضابه المجانيق لترمي الكعبة بالنيران المشتعلة فتهوى عليها بالصواعق والقذائف فاذا ارتجف الجنود قليلا لمهاجمة بيت الله صرخ فيهم الحجاج متوعدا وتقدم بنفسه فواصل القذائف غير هياب ! فتعطلت مشاعر الحج ، وأخذت كتائب الغزاة تغير على المسالك والدروب فتقتل الشيوخ والاطفال والنساء !! وأقبل أهل مكة خائفين فزعين يطلبون الامان من الطاغية وقد ارهقهم الجوع والعطش واللهب بعد حصار ظالم عنيد .. ويتحقق عبدالله من نهايته فيفد الى أمه ذات النطاقين ويقول في أسف دامع : يا أماه خذلني الناس حتى ولدي وأهلي ولم يبق معي الا اليسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا !!

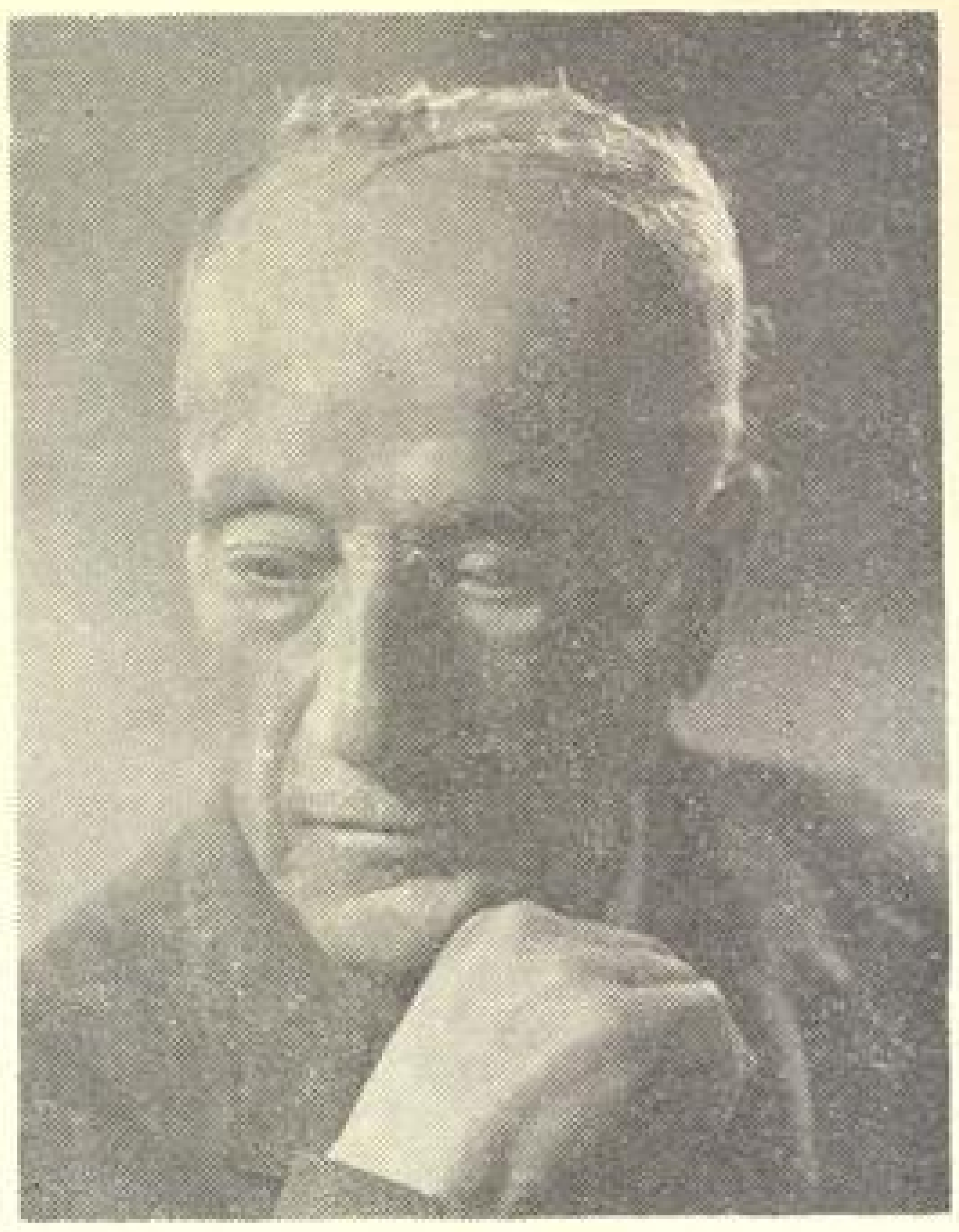
فتقول أسماء في صرامة متماسكة انت أعلم يا بني بنفسك فان كنت على حق فأمض له فقد قتل عليه أصحابك، ولا تمكن من رقبتك ليلعب بها غلمان بني أمية وان كنت انما أردت الدنيا فبئس العبد انت!! فيصيح ابن الزبير ، والله ما أردت غير رضوان الله ثم يخرج الى القتال وقد عزم على الموت ليصبح استشهاده الفاجع خاتمة المأساة !!

ويبحث الحجاج عن فارس نجدي ، يعرف عنه الوثب السريع ليحمل النبأ السار الى عبدالملك بدمشق فيقابله الخليفة فيخبره الحديث فيسر عبدالملك ويثني على الحجاج ثناء المحب الفخور ثم يسأل في تشف ناقم عن نهاية ابن الزبير فيجيب الرسول :

لقد أبدى مع ضعف عدته وقلة عدده جلدا صابرا وبأسا عظيما،لقد ملك عليه الحجاج أبواب المسجد الحرام وحاصره به فأخذ ليلته يصلي ويتهجد ثم أغفى قليلا حتى أذن الفجر فنهض للصلاة وفرغ منها ليستعد للنزال ويقول للبقية الضئيلة ممن معه « يا آل الزبير لو طبتم لي نفسا عن نفوسكم كنا أهل بيت عظيم في العرب ، أما بعد فلا يرعكم وقع السيوف ، غضوا الابصار عن البارقة ، ولا يلهينكم السؤال عني فلا يقولن أحدكم أين عبدالله الا من كان سائلا عني فاني في الرعيل الاول احملوا على بركة الله يا له من نصر لو كان له رجال !»

فنظر عبدالملك الى رسول الحجاج ـ وقد لمح تأثير حديثه في النفوس ـ وقال في عجب ! مهلا يا فتى نجد فلقد كدت تجذب الى ابن الزبير أعناق بني قومنا في الشام !! اني لاعرفه صبورا جبارا ولكنه رام التي لا يرومها من الناس الا كل حر معمم . ثم تعلو وجهه ابتسامة المرتاح فيقبل عليه الملأ مهنئين .

الفيوم ـ دار المعلمات — محمد رجب البيومي



حبيب الخوري

الاخلاق والسعادة

بقلم حبيب الخوري

* * *

ليس ثمة من ريب في ان السعادة هي الهدف الذي يرمي اليه الدين والفلسفة والصوفية والعلوم الاخلاقية والفلسفية. وقد ذهب الفلاسفة في تعريفها وتحديدها مذاهب شتى حتى بلغت العشرات . ومن أهم هذه الحدود قولهم : — انها «الذروة العليا في الخير» او هي«ابعد ما ترمي اليه جميع الاعمال الادبية» ، او هي «اسعاد الاخرين» ، او هي « الاستمرار في الرجاء والامل» . واني لعلى مثل اليقين من ان هذين الاخيرين من التحديدات هما الافضلان لقربهما من السلامة والحقيقة . وانني ممن يفضلهما على سواهما. ولا ندحة لنا ونحن في بدء القول ان الادلاء بملاحظتين هامتين او بالحري مبدأين خطيرين هما (١) ليس كل خير نعطاه في هذه الدنيا سعادة .ولقد أيد ذلك ابن مسكويه في كتابه الذي هو في مجموعه او جوهره بحوث هامة في السعادة منتزع معظمها من اليونانية .واشار اليه فرنسيس باكون بقوله المشهور : — ان تسعة اعشار متاعبنا ومصائبنا كانت خيرات وبركات أغدقت علينا ، ونحن حولناها الى عكس ما أريد بها . (٢) ان السعادة موجودة في داخلنا وقرارة نفوسنا واعماقها ، وان السر كل السر في السعادة قائم في ما نسميه «بالقوة المحولة» الكائنة فينا . وهذه القوة المحولة الرائعة هي مزيج من نبل الخلق ، والاعتدال والاتزان الناجم عن العقل والقلب المهذبين اللذين ليس بينهما سجال ، بفضل ما نالهما من تثقيف حقيقي ، وما احوج هذين الركنين الاعظمين في الانسان الى التهذيب والتثقيف .

ورد في أساطير الاقدمين ان بنات البحر كن يجلسن على صخور في احدى الجزائر ويرقبن عن كثب السفن المارة على مقربة منها ، حتى اذا كانت منها قاب قوسين اندفعت بكليتها الى العزف والغناء الخلابين ، فتأخذ الملاحين الدهشة والنشوة فينسون امرهم وما هم فيه فيغرقون جميعا .وعبثا حاول اولو الامر اتقاء شر تلكم الجنيات ووضعوا شتى الطرق ومختلف الوسائل للتخلص من غوائلهن ، من مثل سد آذان الملاحين او شدهم الى سواري السفن .ولم يكفوا شرهن حتى جاؤوا بأورفيوس اله الموسيقى وأخذ يعزف بما يفضل عزف اولئك ، فلم يتمالك الموجودون في السفن ان ولوا وجوههم شطر اورفيوس واعرضوا عن بنات البحر كل الاعراض فسلموا. ان عبرتنا من هذه الاسطورة واضحة وهي اننا لا نريد اي نوع من السعادة ، بل نريد بالاحرى ذلك النوع المنبثق من نبالة الخلق وقداسة الحياة وسمو المثالية .نريد هناء وصهورا بشيء من الحزن والالم لكي تتكامل فينا الحياة السعيدة تكامل السلك الكهربائي بجزئيه الايجابي والسلبي. نريد سرورا لا نتمتع به ساعة ونتحسر — من جرائه — ساعات بل قل اياما وسنين . نريد غبطة لا يسدل عليها الستار .لسنا نود ان ننظر الى مسراتنا نظرتنا الى غدير او نهر تحف به الزنابق وتعلو سطحه الازاهير وتملأ قعره الاوحال او نظرتنا الى ستارة المسرح وهي طافح وجهها جملا ومترع ظهرها تشويشا وقبحا .

ان من حقنا المشروع وواجبنا الاسمى ان نكون سعداء من هذا اللون من السعادة .ليس لان السعادة امرا مستحبا من قبل صاحبها فحسب ، بل لانها تبعث من قلب صاحبها عن طريق العدوى او الانتقال هناء لكل من يتصل به . كالرجل الذي ارتقى جبلا في حين كان الثلج يتساقط تساقطا عظيما .ولما أخذ يدب فيه نعاس المثلوجين، اذا به يرى رجلا غطى معظمه الثلج وهو غائب عن الوعي . فأقبل عليه يسعفه بكل ما أوتي من قوة او واسطة وتمكن اخيرا من ايقاظه وانعاشه ، وبذلك تمكن من ايقاظ نفسه والجنوح عن الموت الزؤام .

وعلى قدر ما نسرف في وضع مقدرات للسعادة واجراء مقابلات بين انواعها نقع في الغموض وعدم التثبت من أمرها.ان هناك اناسا اسعدهم الحظ بأن كانت لهم أمزجة رائقة وطباع راضية وظروف حسنة فلم يسعهم عند ذلك الا ان يكونوا هانئين الهناء كله ، في حين ان اخلاقهم بسيطة وهم ليسوا على مستوى ادبي عال ، على ان للهناء الذي يملكه صاحب الخلق النبيل ميزة وهي انه وان لم يكن شديدا وفياضا كصاحب الخلق البسيط ، أشد رسوخا وادعى الى السلامة في الملمات ، فاذا ألم به مصاب واحد لا سبيل الى مجانبته كالموت او فقدان الصحة او خسران الوظيفة او ضياع المال ، قضي على سعادة صاحب الخلق البسيط قضاء مبرما ، على حين ان صاحب الخلق المتين اذا حل به ذلك الشيء عينه ، استطاع ان يكيف نفسه ونجا بعض الشيء مما ألم به .ان نبل الخلق

اذا جعلناه الهدف الذي نرمي اليه في كل مساعينا وجهودنا التي نبذلها في سبيلنا وسبيل الغير ، كان له ميزة على السعادة . ومما اجتمعت الكلمة عليه ، انه في مقدور كل منا ان يفلح في نيل السعادة ، اذا لم نجعلها غايتنا العظمى في الحياة ، واذا أفنينا انفسنا في السعي وراء اسعاد الآخرين ، او اذا اضفنا الى هذه الحقيقة حقيقة اخرى راهنة ، وهي ان التضحية والقداسة هما ام الفضائل حق لنا ان ننظر الى الحياة نظرة المتفائل لا المتشائم .

ولا شيء اشد خطورة لنا ، ونحن ننظر في حقيقة السعادة ونبحث في حالاتها ، من مجانبة خطأ كلف الناس بحثا كثيرا في مشكلات السلوك . وهذا الخطأ هو القول : ان السعادة قد تقوم مقامها سلسلة من انواع السرور متصلة ، على ان بطلان هذا القول يثبت من الاختبار والواقع . فقد نسعد لاكلة لذيذة ، او شعة من النور وايقاع من الموسيقى او لمحة من الذكاء او فعلة من اللطف سعادة موقتة آنية . ومع ذلك فالسعادة ليست بمنأى عن المسرات، فهي تضاعف مسراتنا ، كما ان كل حالة من حالات السرور تزيد في سعادتنا . وقد يكون الامر على العكس من ذلك ، فالالم قد يذهب شيئا من سعادتنا ، كما ان السعادة قد تذهب بقسم من الالم . وليس ثمة من سعادة تامة للذي يشعر دائما بألم حاد ، ومع ذلك فالسعادة قد تكون عظيمة ، اذ تذهب بحدة الالم . ولذا كان من حسن الرأي ان نربي فينا عواطف السرور ونجانب الالم ، لاننا ان سعدنا امكننا توسيع نطاق مسراتنا عن طريق السعادة، واصبح تأثيرنا اشد واعمالنا أقوم .

غير خفي ان هنالك مثلثا للسعادة او اركانا اساسية ثلاثة ، وهي الصحي والفكري والروحي . ولسنا نأمن العثار ، اذا نحن قصرنا همنا على السعي وراء واحد منها فقط واهملنا الاثنين الاخرين . فاذا اكتفينا بالتقوية البدنية قوينا الحيوان فينا وبالتقوية الفكرية العميقة دون الاخرين قوينا الشيطان الذي فينا ، وبالتقوية الروحية فقط قوينا فينا الناسك المنهزم من الدنيا ، ولذا كان من كمال السعادة واعظم مقوماتها ان نربي فينا هذه الاركان الثلاثة على اقدار متساوية . وفي وسعنا تزييد السعادة اذا وسعنا دائرة مسراتنا بطرق ثلاث ، الاولى ان نتحقق افراحنا ما دمنا نملكها . للرجل الصحيح الجسم والسعيد هناء في نهوضه في الصباح ومشاهدته نور الشمس ، في تروضه وحلاقته ، في اغتساله وفطوره ، في مشيه الى محل شغله ، وتحيته لاصحابه ، في شروعه في عمله وما الى ذلك . وعلى عكس ذلك السقيم التاعس ، فانه يجد في كل ما سبق ذكره عبئا ثقيلا . الثانية ان نتقاسم الافراح والآلام ، فان السرور الذي يشاطرك فيه الغير سرور مضاعف ، والالم الذي يقاسمك اياه سواك الم مخفف . وهذه فلسفة راهنة في الحياة يجدر بنا اتباعها . الثالثة ان نتحاشى الافاضة في شرح آلامنا واتعابنا التي لا بد منها وان ننزع عن تكبيرها ، فان بعض الناس يقومون ويقعدون عند اقل مزعجة اعتيادية مما نراه في كل يوم . وهنا لا بد من القول ، ان المباسطة والمفاكهة لخير ما نتذرع به لتحسين الحالة من هذه الوجهة . ولنذكر دائما ان المفاكهة ترياق عظيم . وان الندم امر العواطف واقلها فائدة . ولنعود انفسنا المداعبة ولنرضها في تلك القوة الكامنة فينا ، وهي قوة الاثقال من شيء الى آخر . لننظر الى الاشياء السارة لا القبيحة ، ولننظر الى المستقبل بالعين ذاتها ، فاذا تمكنا من الاقلاع عن التأسف على الماضي ، فعلينا ان نقلع عن انتظارات المستقبل وما هو مخبأ لنا في طياته ، على ان كل ذلك قلما يجدينا في سبيل اسعاد انفسنا ، اذا كانت اخلاقنا مشوشة التركيب غير متماسكة البناء .

ان من كل الواجبات الموضوعة على الانسان في هذه الحياة ، لا شيء اهم من تهذيب الخلق وتدبيره . فما هو الخلق ؟. ليس الخلق بالامر الذي يولد فينا ، في طبائعنا وامزجتنا ، بل هو امر نكتسبه تدريجيا على اقدار غير متشابهة وكل منا يتطور في خلقه اما تطورا ايجابيا او سلبيا ، فلا حياد لخلقنا ولا وقوف . أما مواد الخلق الخام فهي الميل والمزاج والطبع والجبلة . ولذا كان من اهم عوامل الشقاء عدم التلاؤم في ميول الخلق ، كما ان اهم عوامل السعادة اتحاد تلك الميول وتعاونها . فسعادتنا وشقاؤنا يكونان على قدر ما ننظمه من الميول في أخلاقنا . وصاحب المزاج المنظم تنظيما محكما تأتيه الفضيلة والسعادة صاغرتين . اما الذي ليس له من عواطفه او ميوله مركز يتولاها منه ويسيطر عليها كلها — وهو صاحب الخلق الناقص او هو الذي تسيطر عليه عاطفة واحدة مثل الطموح او الحب او الاخلاص — فتتلاشى سعادته بتلاشي الفرض الذي يرمي اليه، وباخفاق جميع غرائبه المسيطرة عليه.

قال بارك : كيف نكمل بناء الخلق ؟ كيف نجد مقصدا مركزيا تخضع له باقي المقاصد — مقصدا لن يتسرب اليه اللغو أو يصبح لا تأثير له ولا جدوى البتة من تصاريف الحياة ومجرياتها او افول نجم الهناء أو قيام هجمة من الاقدار . هنالك مقصد واحد كهذا ، وهو انما ينجم عن عاطفة واحدة ، هو قصد الحصول على نبالة الخلق ، وهذا ينجم عن احترام النفس. ان احترام النفس في امكانه تكوين العاطفة الرئيسية ، وهو وحده يحمل المرء دون ريب على السلوك الحسن في كل الظروف المعقولة . ان العواطف الادبية تتماثل واحترام النفس خطورة في بناء الخلق ، لانها اذا كانت ناقصة منحرفة كان الخلق ناقصا او ملتويا مهما كان قويا مكملا في بنائه .

فالى احترام النفس ايها المواطنون ، الى تدريب الميول وتوحيدها الى بناء الخلق الكريم . الى السعادة عن هذه الطريق . واذا اتفق ان تصادم الخلق الكريم والسعادة، فلنضح السعادة ولنحتفظ بالخلق النبيل ، وهذا هو مثلنا الاعلى وشعارنا الاسمى .

القدس **حبيب الخوري**

عـقـلاء المجـانـيـن

بقلـم جبـران جبـور

* * *

الحديث عن عقلاء المجانين طريف ، عزيز المثال . وقد تهيأ لاحدى خزائن الاستانة ان ضمت بين جدرانها مخطوطة في هذا الباب للنيسابورى نادرة الوجود . والعقل في رأي بعض الحكماء مقرون بالجنون كما ان السلامة مقرونة بالداء . جاء في الحديث الشريف «كفى بالسلامة داء » . وقال حميد بن ثور :

ارى جسدي قد رابني بعد صحة وحسبك داء ان تصح وتسلما .

وفي اطواق الذهب «الجنون فنون ، والفنون جنون» فهو يقرن فرط الفنون بالجنون وهو ما نسميه بالحالات النفسية والشذوذ العبقري في اكثر العلماء والفنانين والادباء . وبهذا المعنى يقول العلامة ابن السعد شعرا :

طويت لاحراز الفنون ونيلها رداء شبابي والجنون فنون
فلما تلقيت العلوم وحزتها تبين لي ان الفنون جنون

والمجنون عند الناس من يسمع ويسب ويرمي ويخرق الثياب ، او من يخالفهم في عاداتهم فيجيء بما ينكرون . وللمجنون اسماء في اللغة كثيرة ، منها الاحمق والمعتوه، والاخرق ، والمائق ، والرقيع ، والمسوس والمختبل ، والمهووس وهو ضرب من المجانين ، والمجذوب والاهوج ، ولكل منها تعريف . ومنها المدله والابله والمستهتر . كل هذا يعد في نظر العرب جنون ، ولذا قالوا الجنون فنون. ويقولون للمبالغ في الجنون: جنونه مجنون، قال الشافعي:

جنونك مجنون ولست بواجد طبيبا يداوي من جنون جنون .

وقال الاصمعي : لقد اكثر الناس في العشق فما سمعت اجمل من قول بعض نساء الاعراب : العشق داء وجنون .وعقلاء المجانين كثر فمنهم من اعتقد بدعة فأدركه شؤمها فجن، ومنهم من يسمى مجنونا بلا حقيقة كالسكران ومنهم من جن من خوف الله سبحانه وغيرهم .

وسأحدث في سلسلة احاديث شيقة عن جنونهم وفنونهم . قال النيسابوري :

سمعت الصولي يقول : اعتل عبدالله بن المعتز ، فأتاه ابوه عائدا وقال له : ما عراك يا بني ؟ فانشأ ينشد :

ايها العاذلون لا تعذلوني وانظروا حسن وجهها تعذروني
وانظروا هل ترون احسن منها ان رأيتم شبيهها فاعذروني
بي جنون الهوى وما بي جنون وجنون الهوى جنون الجنون

قيل : فتتبع ابوه حاله حتى وقع على الجارية التي شغف بها ابنه فابتاعها بسبعة آلاف دينار ووجهها اليه . قال العنزي وهو احد اولئك المجانين يصف محاسن حبيبه الذي جن به ويذكر ملامحه :

ابدر بدا ام وجهك القمر السعد الليل دجا ام شعرك الفاحم الجعد
انرجسة هاتيك ام هي مقلة اتفاحة ذاك المضرج ام خد
اموج اذا وليت ام كفل بدا اغض لجنين في الفلالة ام قد
كفى لو تاملت الذي بي لقت لي اهذا جنون ثابت بك ام وجد

وكان الشبلي وهو من عقلاء المجانين ايضا يقول ذات يوم لاصحابه : الست عندكم مجنونا وانتم اصحاء ؟ زاد الله في جنوني وزاد صحتكم ، ثم انشد :

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ما لذت العيش الا للمجانين

وروى عن احد المجانين ، ان مر قوم من الاعراب بالصحراء فابصروا بقرب موضع يدعى دير هرقل مجنونا يرمي الناس بالحجارة ويقول :

الله يعلم انني كمد لا استطيع ابث ما اجد
نفسان لي نفس تضمنها بلد واخرى حازها بلد
وكان حاضرتي كفائبتي واظنها تجد الذي اجد

وحكي عن حبيب بن محمد بن خالد الواسطي قال : دخلت يوما على علي بن هشام فوجدته باكيا حزينا ذاهب النفس فانكرته وسألته عما دهاه فقال : اعلم انـي مررت الان بالخريبة ، فرأيت مجنونا مصفدا بالحديد يتمرغ في التراب ويقول :

الا ليت ان الحب يعشق مرة فيعرف ماذا كان بالناس يصنع
يقولون خذ بالصبر انك هالك وللصبر مني في مصابي اجزع

قال ابو علي الحسن بن احمد القزويني : سمعت بعض السياح يقول : رأيت مجنونا في القفار وهو يرقص ويقول :

حبكم في القفار شردني آه من الحب ثم آه .

وانشد الزنجاني لبعض الاعراب المجانين قوله :

احبك حبا لو علمت ببعضه اصابك من وجد علي جنون
لطيفا على الاحشاء اما نهاره فسكت واما ليله فانين

وقد اورد بعضهم البيتين لقيس بن الملوح المجنون. ومما اورده النيسابوري عن عقلاء المجانين ما جاء عن ابن اسماعيل الضرير قال : حدثنا وانشدنا ايوب بن غسان المجنون قوله :

ودعتني بعبرة من جفون اضمرت فيضها حذار العيون
ومضت خلفها وقد خلفتني الف عشق وفورة من جنون
فشكوت الفراق بالنفس الدائم ثم هتكت سر الظنون

وكانت العرب تقول : الشباب شعبة من الجنون . ومما يروى عن اولئك المجانين العقلاء ما حدث به خلف بن عمر الصوفي قال : سمعت ابا يزيد يقول : جننتني بي فمت ، ثم جننتني به فعشت ، ثم جننتني عني وعنه ففبت ، ثم اوقفتني في درجة الجنون ، وسألتني عن احوالي الثلاث فقلت : الجنون بي فناء ، والجنون به بقاء ، والجنون عني وعنه ضناء ، وانت في كل الاحوال اولى بنا .ولعل هذا من شطح الصوفيين وفرط هيامهم وحبهم وفنائهم فيمن يحبون ... قال مالك بن دينار : رايت بالمصيصة شيخا في عنقه غل وسلسلة والصبيان

ذكريات

ما كنت للآلام محتضنا … لولا هوى بالامس قد ومضا
ماض لنا يقتات من دمنا … ركض الزمان به وما ركضا
ذهبت حلاوته وقد تركت … نجوى تئن ومدمعا مرضا
الذكريات هي التي بقيت … والكل غير الذكريات مضى

وسفينتي مرساتها انكسرت … وتحطمت في بحر آلامي
كم حام حول شراعها أمل … متموج عذب الرؤى سام
شاهدته يهوي وتبلعه … لجج عنيفات ... كأيامي
فاذا به في ناظري شبح … وبخاطري اضغاث احلام

أيامنا كانت موشحة … بالنور ، بالالوان ، بالقبل
نغدو على النسرين منفلتا … وننام بين روائع الغزل
دنيا من الالحان قد رقصت … نشوى تفور بخمرة الامل
الاغنيات لها مزغردة … في مهرجان ناعم جذل

وعلى المدى الوردي كم رقصت … ارجوحة غنى لها القمر
الطل كان يزورها ثملا … متشوقا ... ويضمها الشجر
القى الضياء على مراشفها … قبلاته وتبسم السحر
الحب يحلو في مرابعها … والشعر والصبوات والسمر

عش الهوى ! والنجم يحرسه … والزنبق الوسنان والسحب
أنسيتنا ..؟ نحن الألى نشقوا … عطر الهوى ورحيقه شربوا
حتى اذا ما اشتاق تضحية … فعلى جذوع الحب قد صلبوا
لا تندهش ان ظل في دمنا … يجري الغرام ... فاننا عرب

عمان … شجاع الاسد

يرمونه وهو يقول :

ان من قد ارى على صور النا … س وان فتشوا فليسوا بناس

قال فتقدمت اليه فقلت : أمجنون أنت ؟ قال : انا مجنون الجوارح لا مجنون القلب ، ثم مر وانشأ يقول :

داريت امري بالجنون عن الورى … كيما اكون بخالقي مشغول
يا من تعجب في الانام لمنطقي … ماذا اقول ومنطقي مجهول

وسمع عمران بن علي الرقي يقول : كان ابان بن سيار وهو من عقلاء المجانين الذين ورد ذكرهم في كتب الادب رئيس القراء والفقراء بالرقة .وكان مع ذلك اهل علم ، فأكل الذئب بنيا له وكان واحده وكان مشغوفا به فلم يتمالك ، فهام على وجهه وغاب مليا ثم عاد وقد برم بالناس ، فجنن نفسه وجعل لا تطمئن به دار ولا يستقر به قرار ، فخبرت بشأنه ، فأتيته باصحاب لي فالقيته في الجامع يكلم بعض الاساطين فقلت : يا ابان اجننت ؟ فقال نعم عندك وعند رفاقك ، فقلت وكيف ؟ فانشأ يقول:

جننت من عقلي لديكم وما … قلبي والله بمجنون
اجن مني واله الورى … من اشترى دنياه بالدين

قال عمران : وكنت قد ابتعت ضيعة من بعض السلاطين ، فعلمت انه يعنيني ، فوالله ما عاودته ابدا .

الكورة ـ لبنان … جبران جبور

تاريخ مهرجان بعلبك الدولي

بقلم كميل ابو صوان

* * *

لقد اوحى الجهاز الهندسي الجبار الذي انبثق عنه اكروبول بعلبك التأمل الذي لازم قواعد المسرح السحرية والايقاع الرائع للمقطوعات الموسيقية .

ويعتبر بيار بولون اول من عرف هذه الهياكل خلال الاجيال الحديثة اذ انه زار بعلبك ابان فترة النهضة ليقدم الى اوروبا عظمة هذا الموقع ، وقد جاء من بعده كبار المسافرين الى الشرق فتعرفوا الى روعة هذا المكان وتذكروا ماضيه فتخيلوا الانقاض وقد احتوت المؤمنين والكهنة ، والمؤمنات ومقدمي القرابين .

ويعتري التبديل الكهنة فاذا بالاله حداد يصبح لوس او جوبتير واثار بانس يتحول الى افروديت او فينوس بينما هرمس يصبح مركور وذلك وفقا لما تشير اليه الاكتشافات التي يعلن عنها المؤرخون والاختصاصيون .

لقد شهدت بداية عصرنا هذا التنقيب الذي قام به العلماء الالمان ثم تعاقب من بعدهم العلماء الافرنسيون الى ان انتهى الامر الى اللبنانيين وذلك منذ نهاية الحرب العالمية الاولى .

وكانت الانقاض في الفترة هذه ، قد بدأت في اوروبا لتشكل اطارا للحفلات المسرحية والموسيقية والباليه.وفي عداد اثار لبنان انتشر الى جانب رجال الفكر اللبنانيين خلال صيف ١٩٢٩ ، عدد من علماء اللغات والاداب القديمة الذين اضطرتهم صدف الحرب الى ارتداء البزات وهم كاترو وبيار ليوتي وجاكيه وروبير ولوهليك ، اصدقاء بلدنا القدامى وقد اجتمعوا خلال امسية حول الجنرال غورو في بعلبك بتاريخ ١٤ آب ١٩٢٢ حيث القى عدد كبير من الاشخاص الشعر بصوت مرتفع فكان تجاوب الاصوات رائعا وتقرر اعداد امسية في نطاق الهياكل واقيمت هذه الامسية في ٨ تشرين الاول عام ١٩٢٢ في اعقاب حفلة العشاء التي أحيتها بلدية بعلبك بالاشتراك مع نادي السياحة عند مدخل الانقاض وقد قام بدور الاله بعل جورج فايسيه ، الصحافي الافرنسي ، مؤسس جريدة «سوريا» فالقى مقطوعة شعرية تتناول «الماضي العجيب» وهي بعنوان «استارتيه» كما قامت السيدة شارل دباس بدور هذه الالهة التي تحيط بها الباكيات والراقصات وهن الانسات : دانون ، هانموغلو، كرامي ، عكاري ، كابتريل ، شهوان ، حداد ، كحلا ، موجين ، شحاده ، وستميل ، وقد أشرف بونينج على ضبط الرقصات .

اما الموضوع فتناول قصة الحب المشؤوم بين فينوس استارتيه وأدونيس الشاب واقيمت هذه الامسية في الساحة المسدسة الاضلاع عند مدخل هيكل جوبتير وحضرها حوالي اربعمائة شخص وهكذا بدأت اولى ليالي بعلبك .

لقد احيت الجمعية الوطنية لانماء الثقافة اللبنانية والحفاظ عليها الحفلات الاولى عند اقدام اعمدة هيكل جوبتير واسست هذه الجمعية هيئة مؤلفة من السادة : ميشال شيحا ، سعيد عقل ، جوزف نجار ، موسى ده فريج ، جوزف اوغورليان وفؤاد البستاني الخ ...

وقدمت ماساة « الفرس » لمؤلفها اكزيل في ١٨ ايلول ١٩٤٤ في هيكل باخوس وضمت فرقة الانشاد في الاكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة مع فرقة المعهد الشرقي في زحلة لاداء «نشيد السلام» من وضع واعداد بنيدار والاب رايا وافتتحت هذه الحفلة بالباليه الذي قامت بادائه طالبات معهد الرقص التابع للسيد تين بتروسكي وكوفكنك وقد تميزت الانسة ايفي رافنو بولس عندما قدمت وصلتها .

وحددت اسعار الدخول بخمس عشرة ليرة لبنانية وصادفت هذه الحفلة اقبالا كبيرا واشرف على تأمين الانارة موظفو القاعدة الجوية في رياق الذين استعملوا مكبرات الاضواء الجوية والمولدات الكهربائية المتحركة بالاضافة الى الاخصائيين الكهربائيين الذين انتشروا في كل ناحية من الانقاض .

وقد اعد الموضوع بالشعر الحر جان تيبو سمبولت استاذ اللغة اليونانية لدى كلية بيروت العلمانية وقام بالترجمة بول مازون . اما الموسيقى فوضعها جاك شاليه من كونسرفاتوار باريس.ووزعت الاداور كما يلي :

السيدة شارل دباس : الملكة اتوسا ارملة داريوس ووالدة اكزرجس.
السيد نصري حداد : ظل داريوس .
السيد موسى دي فريج : اكزرجس .
السيد راوول حبيقة : الرسول .
السيد كميل ابو صوان : كوريفيه .

اما الملابس فقد اشرف على اعدادها السيد فيورست بالاشتراك مع زوجته .

وقدمت اربع حفلات عام ١٩٥٥ من وضع : جيراندو ، كورنيل ، انويل وفيرجيل وكان ذلك باشراف السيد جان مارشا ، احد افراد الكوميدي فرانسيز والسيد طوني قزي ، متعهد البرامج والحفلات في باريس . وقد ابدى رئيس الجمهورية اهتمامه بهذا المشروع مما حمل جمهور المشاهدين على التصفيق لمسرحيات « حرب طروادة لن تكون » «وبوليوكت» «وانتيجون» «وبيكوليك» التي قدمت في هيكل باخوس .

لقد تحسنت وضعية الطرق المؤدية الى بعلبك وتم اعداد الهياكل وذللت عقبات الانارة والسير وتيسرت مواجهة تحضير الحفلات المتعددة واعداد الاماكن المعدة للمسرح .

وقد مكن انشاء «جمعية مهرجان بعلبك الدولي» التعاقد مع «اوركسترا همبورج السمفونية» لعام ١٩٥٦ التي تضم جورج لوديج ، جونيم ، وليون بارزان ، ووليام كمف ، والدومانسنيلي من فرقة «المسرح تلجوى المفتوح» مع روبرت اتكنس الذي قدم مسرحية هملت وليلة شكسبير الثانية عشرة من فرقة جان مارشا التي قدمت «يوليوس قيصر» لشكسبير «ومتريدات» لجان راسين «والالة الجهنمية» لجان كوكتو . وقد قدمت هذه المسرحيات فوق مدرج هيكل جوبتير .

وبدأت منذ ذلك الحين في بعلبك الحفلات الثقافية القيمة .

وفي عام ١٩٥٧ قدمت فرقة جان لومي بارد مسرحية «امفيترون» لموليير و «بيرنيه» لراسين وقصة «فاسكو» لجورج شحاده كما قدمت فرقة «لندن اولد فيري» مسرحية «تاجر البندقية» و«انطوان وكليوباطرة» لشكسبير بينما قدمت فرقة «اوركسترا سانتا سيبليا» في روما مقطوعات موسيقية لكل من ماتش ، بريفتيك ، غرومينو ، باريكيان ومكيلانجلي.

وتميز العام بولادة فرقة الفولكلور اللبناني مع المغنية فيروز وقد تطلب ظهور هذه الفرقة الفريدة من نوعها وهي من صنع الرئيسة زلفا شمعون الشخصي ، وقتا طويلا من العمل والجهد المتواصل وقد دل نجاحها على ضرورتها .

اما عام ١٩٥٩ فشهد ما قدمته فرقة مونبارناس وحاشبون باتي «فيدر» لراسين ، «اليكتر» لجيراندو و «بلوتوس» لاريستوفان ، اما اوركسترا «موسيقى روما» واوركسترا «نيويورك للهواة» مع سيبرزولبكن والمغنية اللبنانية روزاليندا الياس وهي مجموعة اكدت التناسق الصوتي في الداخل ورحابة مدرج هيكل باخوس وقد دشنت فرقة «باليه رامبير» خلال العام ذاته فن رسوم الرقص الدولية امام هيكل جوبتير الرحب .

وقدمت فرقة الفولكلور مغناة «عرس في القرية» لفيروز كما قامت

نحن ضمير الكون

تمزق ضمير الخير ، كم انت واهم   تضيء شموع الليل ، والليل داهم
تلون أستار الدجى في سذاجة   وتوقظ عين الصبح والصبح نائم
سدى، يا ضمير الخير، لن تطفىء الدجى   طفى الليل ، واشتدت عليك العظائم
فكم من فتى غض الغضاريف غافل   تسنم ظهر الناس والدهر واجم
وكم من غبي ميت القلب والنهى   يتوج رضوانا على الخلد قائم
وكم جاهل في الارض .. بات معلما   يحج له هاد ويرجوه عالم
كأن الزمان الشؤم يلعب عابثا   ويمطر ويلات ، ونحن نسالم
وتنهشنا الايام .. والقلب صامد   على الجرح خفاق الاغاريد ناغم
ونغزل نور العين صبحا وأنجما   ونشعل كهف الليل والليل قائم
ونبعث في الارض الموات جداولا   تسرف حواليها الطيور الحوالم
نلون وجه الكون ماء وخضرة   وقد كان يعلوه الشجا والسخائم
ونرفع في الآفاق صرحا ممردا   هو الخير هتان الشآبيب ساجم
نطل على الدنيا كفاحا مخلدا   يسطره التاريخ .. والدهر راغم
فنحن ضمير الكون نغدو ونثنثي   رسالتنا خير الى الناس دائم
لنا الدمع والويلات والموت والشجا   وللناس منا الطيبات الفواغم

عمان   راضي صدوق

فرقة «حاضرة فيلوريان» خلال ١٩٦٠ ، بقيادة بلانشون ، باداء مشهد رائع ، وقدمت لاول مرة تحت اعمدة هيكل جوبتير مسرحيتان : «ادوار الثاني» لمارلو و «الفرسان الثلاثة» لاسكندر دوما وعقب ذلك مسرحية «روميو وجولييت» والرواية الهزلية ، «الاخطاء» لشكسبير وقدمت هاتين المسرحيتين فرقة «بريستول اولدفيك» واشتركت اوركسترا تنوتجارت بحفلات الموسم مع مونستجز وفورمييه .

اما المغنية صباح فقدمت مشهدا فولكلوريا « التقاليد» » .

ولاول مرة في الشرق قدم خلال ١٩٦٠ مشهد «العالم المخيف» من وضع جان فرنسوا نويل وموسيقى جون هوتشكس.

لقد تم تأمين التجهيز الكهربائي الدائم في بعلبك ، واختتمت فرقة الاوركسترا الوطنية للراديو والتلفزيون الافرنسية الموسم الدولي بتقديمها مقطوعتين لكليوفس وصاندور .

وقدمت فرقة «الكوميدي فرانسيز» عام ١٩٦١ ، «بريتانيكوس» و «خيانة سكابان» بالاضافة الى مسرحية «جزيرة العبيد» لماريفو .

وشكلت الاوبرا بدعة عام ١٩٦١ حيث قدمت فرقة «اوبرا ميلان» حفلة «تتويج بوبيه» مع لورا لوندي ورومانو روما ، وقد صادف كل من دافيد بلير ومارجو فونتين نجاحا باهرا في «الباليه الملوكي» وقدمت فيروز ونصري شمس الدين بنجاح هائل مغناة «البعلبكية» .

وشهد عام ١٩٦٢ «مجموعة باريس الغربية» و «مقطوعة موسيقية من خمسة اقسام «لجان بيار رامبل وقدمت فرقة «اوبرا باريس» المجموعة الغنائية لجلاك مع اوركسترا الراديو والتلفزيون الافرنسية كما قدمت فرقة هنري دوبلييه» «رانودارميد» لجان كوكتو .

واستقبلت فيروز بحرارة عندما بدت في مغناة الاخوين رحباني «جسر القمر» وقدمت فرقة «كوميديا الشرق» خلال صيف ١٩٦٣ «هوراس» و «الامرأة الشرسة» و «موسيقى روما» بالاضافة الى اوركسترا السمفونية لراديو برلين التي قدمت د. كورافاس وجوزيه اينوربي وحوالين .

اما حدث هذه السنة فكان اشتراك «باليه القرن العشرين» لبيجارت وقدمت فرقة الكوميدي فرانسيز خلال ١٩٦٤ ، مسرحيتين : « لوبورجوا جنتيوم » و « امفيترون » لموليير بالاضافة الى مشهد من مسرحية «سيرانوده برجيراك» .

ان «الباليه الملوكي» مع مارجو فونتين ورودلف نوريبق وفرقة الانشاد من اكاديمية فيينا و «بتسبرج سمفوني اوركسترا» مع ستنبرج وجانيس وتريجبر ، ومهرجان سترفع لوسرين» مع بومغارتز وفورنيه والفولكلور اللبناني مع صباح ووديع الصافي : هذه المجموعة رفعت هذه السنة الى مقام ما سبقها من الاعوام وذلك بالاضافة الى مسرحية انطوان معلوف «الازميل» وهي اول المسرحيات العربية التي قدمتها فرقة المسرح الحديث في بعلبك .

وفي العام الماضي نقلت فرقة «اوركسترا موسكو» بقيادة رودلف بارشي الى اوروبا الشرقية ما قدمته في المهرجان وقد سبق حفلات الباليه الناجحة تقديم مسرحية «اندروماك» و «دون جوان ده موزارت» حيث انشدت المغنية اللبنانية لويزا بوزاباليان اروع اغانيها مع مصاحبة اوركسترا جمعية الانغام في الكونسرفاتوار .

اما الفولكلور فكان ايضا من النوع ذاته .

هذه هي بعلبك وقد بلغت عامها العاشر في دنيا الحفلات .

كميل ابو صوان

الضحايا

بقلم حسني سيد لبيب

قصة

قاد السيارة في الصباح الباكر .. سيارة مزدحمة تضيق بركابها . يسمع الشتائم واللعنات تنصب عليه من الركاب ، ولا يستطيع ان يجيب .. فقط يحاول ان يميز بأذنيه صوت صفارة المحصل ، بعد كل محطة يقف عندها . حاول ان يفكر في الشتائم التي يتلقاها .. وما ذنبه هو في ذلك ؟. هل هو مسئول عن هذا العدد الهائل .. وعن توصيلهم في الموعد المناسب ؟.. لا .. ليس مسئولا عنهم ، وعن مواعيدهم المناسبة .. انه يقود السيارة كما ينبغي .. وليس عليه بعد هذا واجب اخر .

لكنه يريد ان ينتقم لكرامته من هؤلاء الانذال .. ولكن !.. كيف السبيل الى الانتقام ؟.. اجل كيف؟ هل يترك القيادة ويضربهم جميعا؟.. أم ماذا يفعل ؟.

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة .. وفي هذه اللحظة تنبه الى فتاة صغيرة تعبر الطريق ، انها تشبه ابنته لحما ودما .. وبسرعة خاطفة انحرف بالسيارة انحرافا هائلا ، ظن الركاب خلاله ان السيارة ستنقلب بهم .. وسار بعد ذلك في طريقه الطبيعي ، وسط شتائم الركاب ولعناتهم .. لكنه اغلق اذنيه ، واعرض عن سماع هذه الالفاظ الجارحة ، فقط يريد ان يسمع صوت صفارة المحصل .. انها تحدد سيره .. ثم عاوده التفكير في الطفلة التي كادت روحها ان تزهق ، لولا ان تيقظ .. ولولا أن الله امر بالستر .. انها تشبه ابنته سمية لحما ودما .. وقد تكون هي .. ولكن !!.. وعاودته الابتسامة الساخرة مرة ثانية .. فكيف تنهض ابنته من فراشها والمرض يأكل صدرها ؟.. أجل كيف ؟!

انهم يلعنونه .. لكنهم مساكين ، فهم لا يعرفون انه يفكر في ابنته الوحيدة المسلولة .. ولا يعرفون انه لولا هذا التفكير اللعين ، لما أودى بهم الى حافة الهلاك .. انهم يشتمونه ... ولا احد يستطيع ان يمنعه من هذا التفكير . انهم يشتمونه .. ولا احد يقدر على انقاذ ابنته الوحيدة سمية . انهم يشتمونه .. لكن !.. كل هؤلاء لن يكونوا معه في المساء وهو يتعذب بصوت سعالها ، الذي ينهال على اذنيه كسوط عذاب . كلهم لا شيء .. لا احد .. لا وجود .. كلهم في تفكيره يضيعون سدى ، ويمضون هباء . وهذه الشتائم التي تجرح كرامته ، لا يستطيع ان ينتقم منها .. انه مشغول عنها بابنته .

عذبته افكاره ، وأضنته خواطره .. فحاول ان يركز انتباهه في الطريق .. اسرع بالسيارة ، فجميع الركاب يريدون الوصول الى أعمالهم في الموعد المناسب ، والا .. فالشتائم سوف تنهال عليه .

وفعلا أخذ ينهب الطريق .. لكن النار تأكل راسه ، والعواصف تودي بعروق يديه المتفرعة كفروع الاشجار. انه يلاحظ ارتعاش يديه القابضتين على عجلة القيادة .. لكن لا مفر من السرعة .. وعلى ابنته ان تضيع وسط هذا الزحام ، وان تغيب عن وعيه ، وتضيع من وجوده .. ولا شيء .. لا شيء في تفكيره .. ابنته لا وجود لها ، ابنته ضاعت وغابت في صمت هائل .

ابنته تعشق الحياة ... وعليه ان يعمل من أجل الحياة .

وتراقصت الدموع في عينيه ، ولمح خلالها شبح رجل يعبر الطريق .. انه رجل أنيق يبدو عليه الثراء .. هذا الرجل لا يمكن ان يكون معذبا، مثله ، او تراوده هذه الافكار الاليمة .. لكنه يتباطأ في المسير ، والسيارة التي يقودها تنهب الطريق بسرعة غير عادية .. لا بد من انقاذ الرجل .. انه يشعر بيديه تضغط على آلة التنبيه ، وسمعت أذناه هذا الصوت الرهيب فكادت طبلة اذنيه تتمزق .. واصوات الشتائم والسباب تأتي اليه من كل ناحية ، وأحس بسواد هائل يحتل جدران راسه .. انه مسجون في هذا الجسد العاجز . جسده ليس الا جدران رهيبة تحبس انفعالاته ، وتسجن ارادته .

غاب طيف الرجل ، والاصوات تهلل وتصيح .. والناس تجري من امام ومن خلف تريد اللحاق بالسيارة، يريدون منه ان يقف .. يجرون ويتصايحون ويفرغون احقادهم ، فتصل هذه الاحقاد الى اذنيه .. ليس في الامر شيء جديد ، فالناس دائما يكبلون رغبته وارادته ، ويطيحون بمصيره ووجوده .. ولكن — رغم هذا — عليه ان يقف ، عليه أن يطيعهم ..

نظر الى يديه فرآهما في مكانهما على عجلة القيادة .. ولمح العروق النافرة وهي ترتعش ، ويداه تهتزان .. فعرف انه لم يضغط على آلة التنبيه ، وانما خانه شعوره .. وبحركة سريعة اوقف السيارة ، وأيدي كثيرة تحاول ان تمسك بخناقه .. وهبط من السيارة ، فرأى طيف الرجل الذي كان يعبر الطريق .. رآه كومة من اللحم تنزف منها الدماء الساخنة .

كومة من اللحم تنزف منها الدماء

اليها

وغادة من بلدي تعيش ملء خلدي
غالبة ، ظافرة بالمشتهى ، بالمقصد
قبلها الربيع فالجمال بعض المورد
والسحر في عيونها كحلها بمرود
أحبها انثى ، وان تجفو، وان لم تعد
فكم رعاها خاطري وكم هفا توجدي
خطوتها زنابق الفورعلى الدرب الندي
تحملني أشواقها الى مفان جدد
فأنتشي وأرتوي وأنتهي وأبتدي
احبها مرسومة في القلب،قبل مولدي
انشدها يا غايتي فداك يومي وغدي
ويا رؤى الحنين في حلم غوي المورد
موعدنا ، انت اذا شئت... فهل من موعد ؟

محمد شمس الدين

.. شيء فظيع !..

ولكن !...

عيناه مبهورتان ، وجوفه يحترق، وقلبه يتمزق .. والناس يحيطون به ، ويسجنون ارادته .. ولكن لا ... يجب ان يسيطر عليهم . زعق فيهم :

ــ يا ناس .. اعرف انه مات وانتهى .. لقد لمحته وهو يعبر الطريق .. لكني لم افعل شيئا .. انه .. انه مات شهيدا .. مات شهيدا ..

واغرورقت عيناه بالدموع ، وراح في نوبة بكاء حادة .. واحترقت الكلمات على لسانه :

ــ كومة لحم .. هكذا المصير .. ولكني لم أقتله ، وانما قتلته الافكار السوداء التي تعيش في ضمائرنا.. لقد لمحته وهو يعبر الطريق .. كان انيقا ، وشابا .. هكذا يصبح كومة لحم !.. يا لسوء المصير !!.

وينظر الناس اليه وهو يزعق فيهم بكلماته ، ولا يملكون ان يقولوا شيئا .. سوى كلمات ضعيفة فاترة ..

وعيناه تنظران الى كومة اللحم وبريق هائل يشع منهما .. واخذت كومة اللحم تذوب شيئا فشيئا .. الى ان صارت طيفا يقترب منه ، ويمد يدا ليصافحه بها ، بابتسامة كبيرة .. انه هو .. بأناقته ، وثرائه ، وشبابه .. فتمتد يده المرتعشة الى اليد الممدودة بلا تردد ، ويصافحه في راحة وطمأنينة .. انه الان يراه بعينيه ، لكن الموقف يختلف .. فمنذ لحظات كان يراه من خلال غلالة الدموع التي ملأت مقلتيه ، لكنه الان يراه بعينيه ، بعد ان جفت الدموع .

وترقد ابنته سمية على سريرها مبتسمة ، فرحة . والرجل الانيق يداعبها ، ويضحك معها .. اتى لها باللعب والحلوى .. والطبيب يقف بجوار سريرها وهو يبتسم .. ان الموقف يبعث على الارتياح والطمأنينة .. فسمية قد استغرقت في نوبة ضحك متواصل لاول مرة منذ زاملها المرض ، واختبأ في صدرها .. لم يعد يرى سمية وهي تسعل ، ذاك السعال الذي يؤلم اذنيه .. فسعالها يشعره بحال صدرها المسلول وهو ينزف الدماء .

الان قد هدأ تماما وارتاح .. ضاعت من رأسه تلك الفكرة التي تلح عليها ، بأن العالم والناس لا شيء ، لا حقيقة ، ولا وجود .. انهم اليوم اصبحوا شيئا ، وحقيقة، ووجودا ..

وابتسمت شفتاه ابتسامة كبيرة، واخذ ينظر الى الحشد الملتف حول كومة اللحم .. كما اخذ ينظر اليهم وهم يضيقون الخناق حوله .. فزعق فيهم وهو يرى كومة اللحم لم تزل تنزف الدماء :

ــ أنا امامكم ، لن اهرب .. ولن أضيع .. ولكن ابقوا معي .. فاني اراكم كجدار استطيع ان ارتكن اليه.

والتمعت عيناه ، وتصلبت شرايينه ، وسقط على الارض اعياء .. نام جسده بجوار كومة اللحم ، بدون ان ينزف قطرة دم واحدة .

حسني سيد لبيب — القاهرة

الادب العـراقي الحـديث

بقلم خالص عزمـي

* * *

تتميز عصور الادب العالمي بميزات يستطيع بعضنا ان يلمح معالمها ظاهرة جلية وان يحدد مركزها وعمقها وتياراتها مما يقرأ ويقارن ويستنتج ، فهو يستطيع ان يدرك كنه المجتمع ، اي مجتمع ، من خلال ادبه ، وان يدرك الادب من خلال المجتمع الذي يقرأ عنه ، ومن العصر الذي يتعقب آثاره ومعالمه . وحينئذ ، وفي جميع الاحوال ، يستطيع احدنـا ان يتعرف على الابعاد والمساحات الذهنية التي كان الادب يمتد اليها او يستحـوذ عليهـا .

فالقرن السابع عشر مثلا تميز في آدابه بالكلاسيكية ذات النزعة الانسانية والقرن الثالثعشرتميز بالنزعة الفلسفية العقلية ،والمحاججة الفكرية والاغراق في التأمل.والقرن التاسع عشر تميز بالرومانتيكية ، حيث اعقبتها بعدئذ الواقعية والرمزية .ثم تميز القـرن العشريـن ، بالنزعة التعقيدية والتداعي ، واظهار الوعي الباطني ، والحوار الداخلي الى الوجود بالشكل المتعارف عليه بالسيريالية ، ثـم برزت بعدئـذ الوجودية ثم الواقعية الحديثة .

ولست هنا في معرض توضيح هذه المذاهب والحدود الوهميـة الفاصلة بين بعضها البعض وانما الذي اود ان اركز عليه هو ان الادب العالمي ، والاوروبي بشكل خاص ، يتميز باستقلال المدارس الادبيـة وانضواء الادباء كل تحت مذهب ادبي معين يعالج عن طريقه ما يحس به وما يريد التعبير عنه بأسلوب مميز .

ولكن هل نستطيع ان نلقي الاضواء على الادب العراقي من خـلال مقاييس المدارس الادبية التي تطرقنا اليها ؟ نحن اذا ما انطلقنا من هذه النظرة الواقعية الى مجالات ادبنـا العراقـي ، نجـد ان مثـل هذه التحديدات الفنية الفاصلة تكاد تكون معدومة ، فليس هناك فواصـل مذهبية في التعبير الفني عن الادب وليست هناك مدارس ادبية متبلورة تختص بنوع يؤكد المعاني والافكار دون الاساليب والفلسفة . وليـس هناك عصر ادبي نستطيع ان نطلق عليه عصر الواقعية الحديثة او عصر السيريالية ، او الرمزية مثلا... بل هناك عصور زمنية في ادبنا اما ان تتميز بالنهضة في مختلف المجالات او بالركود ، وذلك يستتبـع بالطبع مدى التطور الاجتماعي ونظم الحكم السائدة فيه ، ويتتبع الانتاج من حيث الكم والكيـف .

فالشعراء والادباء والنقاد والكتاب العراقيون انصرفوا في عهود مختلفة الى معالجة مواضيع متشعبة فلم يأمنوا بالاختصاص او بصورة اوضح ، بالانتاج الادبي ذي الاطار محدد المعالم . بل كانوا ، وما زال بعضهـم ، يعالجـون مواضيع مختلفة وعلوم وآداب متنوعة ، فهي جملة افكار يزاحم بعضها الاخر . ويعارض جزءها كلها ، بحيث اصبحت الاشعار والقصص والمسرحيات والمقالات في ادبنا الحديث ذات اجواء وأساليب متنوعة قد تتنافر شكلا ومضمونا في كثير من الاحيان .

فانت تجد في الانتاج العراقي الادبي ، انماطا من الرومانسية ، والواقعية ، والرمزية والوجودية والصوفية ، والسيريالية الى غيـر ذلك من صور تلك المذاهب والمدارس الادبية . ونحن يندر ان نـرى شاعرا رومانتيكيا وحسب ، او شاعرا وجوديا فقط ، بل لا بـد وان نرى في شعره ، قصائد تختلف موضوعا وفكرة واسلوبا ونفسا .

* نص المحاضرة التي القاها الكاتب في الجمعية البغدادية ببغداد

هذا بالطبع لا ينطبق على الادب العراقي الحديث اجمـالا ، اي الى فترة الخمسينيات بالذات ، بل ينصرف معناه الى أدبنا العربي في تلك الفترة بشكل عام ، على ان هذا ، لا يمنع من القول بأن الادب العراقي الحديث باطاره العام ، تمكن من ان يخطو خطوات طيبة نحو الامام في بعض الفترات وان يزاحم آداب البلاد العربية الاخرى فـي بداية هذا القرن حتى اوائل الاربعينيات ثم يستقل بشخصيته فيتقدمها في بدايـة الخمسينيات .

حينما نجيل النظر في ادبنا العربي بامعان وتجرد نرى : انه في الوقت الذي كانت تلمع فيه اسماء كبار الشعراء والادباء في مصـر ، من امثال : البارودي ، وحفني ناصف ، واسماعيل صبري ، وطـه حسين ، وحافظ ابراهيم ، والعقاد وشوقي ، ومطران ، والمنفلوطـي والمازني وقاسم أمين وزكي مبارك وعبدالله نديم وجرجي زيدان ، نرى اسماء ادبائنا وشعرائنا العراقيين تضاهيها بريقا واشعاعا من امثال : الزهاوي ، والعبيدي ، والنجفي ، والهنداوي ، والدجيلي ، والكاظمي والرصافي والجواهري ، والبناء ، والشرقي ، والبصير ، والشبيبي باقر ورضا ، والاثري ، والكرملي والقاضي منير ، وطـه الراوي وشكري الفضلي وحافظ جميل ، وابراهيم صالح شكر ، وابراهيم حلمي العمر وغيرهم . فقد كانت نشاطاتهم الادبية تبرز على صفحات الصحفالادبية التي ظهرت آنذاك في العراق ، كلغة العرب ، والفـلاح ، ولسـان العرب ، والاستقلال والبلاد وحبزبوز وشمس المعارف والناشئةوالهاتف والفرى . ولم يقف نتاج الادباء العراقيين على الصحافة العراقية بل تعداها الى الصحف العربية الهامة آنذاك كالمقتطف والهلال والرسالة والثقافة والاهرام والمؤيد والمقطم واللواء .

ولقد كان لنهضة الترجمة والتاليف التي عمت مصـر وسوريـا آنذاك حيث طفت الصبغة العلمية الحديثة والنزعة الادبية الغربية ، اثرها المباشر على الادب العراقي الحديث الذي يتميز ، حتى بوادر تلك النهضة ، بالنزعة التقليدية والمحاكاة في الادب .

وعلى هذا فقد تميز الادب العراقي في العشرينات والثلاثينـات بثلاث ظواهر هامة نوجزها بما يلي : ـ

اولا : انكباب الادباء العراقيين على كنوز الادب العربي القديـم ينهلون منه ما شاء لهم ذوقهم وحسهم الادبي ونزعتهم الدينية ان ينهلوا. يتأثرون بأساليبه وافكاره الـى حـد بعيـد وينحون منحاه في كثيـر مـن الاحيـان .

ثانيا : تأثر بعض الادباء العراقيين بالنهضة الحديثة الاوروبيـة وانصرافهم الى الكتب المترجمة والمجلات ذات النزعة العلميةوالمصطلحات والاساليب الحديثة ، ينهلون منها ويطعمون بها آدابهم ويطورونها بشكل جديد محبب خال من المبالغة والتهويل .

ثالثا : الاصالة ، والعاطفة المتأججة ، وشعور الادباء بالمسؤولية الوطنية واتخاذهم الادب بابا ينفذون منه الى مجال الصراع والتحدي العنيف لكل ما يقف حائلا دون تطور مجتمعهم وتقدم بلادهم .

بالاضافة الى هذه الظواهر الثلاث هناك حقائق بينة فـي الادب العراقي تميزت بها تلك الفترة وهي :

(آ) ـ قوة الصياغة ، واشراق الديباجة ، والاعتماد على محسنات البلاغـة .

(ب) ـ التمهيد المطول للمقال او القصيدة والاسترسال في الموضع.

(ج) ـ غزارة الانتاج وتعود الوانه ومراميه واساليبه . بالاضافة الى التكرار في الفكرة والاجترار في المواضيع بصورة عامة .

(د) ـ الجموح العنيف في الادب السياسي ، بحيث ضاعت كثير من الافكار الادبية في خضم الصراع السياسي بين الادباء .

لا بد لنا ونحن نستعرض الاطار العام لادب تلك الفترة ان نقـول كلمة في النقد الادبي ، فهو صورة متممة لملامحها .

لقد تميز النقد في تلك الفترة بالعاطفة الشخصيـة والتحليـل

البسيط ، واعتماد العلاقات الخاصة و (الصداقات) ، اساسا للهجوم والكر والفر والتبرير والاعتذار ، دونما تأكيد على المضمون ودونما رعاية لمفهوم الموازنة المنطقية المجردة من الحقد والتقريع .

فقد كان جل النقد ، لا كله ينصرف الى الطعن الشخصي والبحث عن العيوب واقتناص الاخطاء والبحث عن قصور اللغة والاسلوب .

ولكنه والحق يقال ، ان بعضا من الادباء البارزين آنذاك قد توصلوا (باصالتهم ، وتفهمهم لمعنى الظهير الادبي) الى اسس الطريق العلمي في النقد الادبي. كابراهيم صالح شكر ، وابراهيم حلمي العمر وطه الراوي وانستاس ماري الكرملي .ورضا الشبيبي ومعروف الرصافي ، ورفائيل بطي ومحمود الملاح ، ومحمود احمد السيد ويوسف رجيب .. الخ .

وعند نهاية الثلاثينات بدأت الحركة الادبية في العراق تنعشر وراحت الصحف الادبية والفكرية عامة تتساقط واحدة بعد الاخرى ، وكاد الميدان الادبي يخلو من فرسانه ، فقد مات بعضهم وانزوى البعض الاخر بسبب ضنك العيش ، وانصرف الاخرون الى وظائف الدولة بعيدين عن الجو الادبي .

وقد لعبت الحرب العالمية الثانية دورا قاسيا في حصر الحركة الادبية في نطاقها الضيق فقد طفت المجلات الدعائية وتوقفت الكثير من المطابع عن العمل بسبب ابتعاد الكتاب عن التأليف الادبي الى جانب ندرة ورق الطباعة في الاسواق .

وما كادت الحرب العالمية الثانية تضع اوزارها وتعود الحياة الطبيعية الى العالم اجمع حتى بدأت المطابع تدور ، وتدفق الورق على الاسواق ومعه آلاف الكتب والمطبوعات الفكرية . وبدأت الحركة الادبية في العراق تنتعش تدريجيا ، وما كاد عام ١٩٤٨ يحل حتى ظهرت المجلات والكتب الادبية ودواوين الشعراء والقصص والروايات في اسواق الادب ، وراحت تعبر عن احاسيس الادباء تجاه مجتمعهم وبلادهم والظروف الداخلية المحيطة بها .

لقد ساعدت كثير من العوامل على نضج الحركة الادبية في العراق في تلك الفترة ، منها الوضع السياسي والاقتصادي والتطورات الحديثة في المجتمع العربي ودخول آلات الطباعة الحديثة وتخرج العديد من ابناء العراق ومن بينهم الادباء في الكليات العراقية والجامعات الخارجية وتدفق الكتاب العالمي والعربي والصحف والمجلات المختلفة . وقيام المؤسسات الثقافية بتقديم المساعدات المالية لتشجيع التأليف والنشر والترجمة .

واستمرت هذه النهضة الادبية تتعاظم بعد عام ١٩٥٠ حيث صدرت مجلات ادبية عديدة مثل عالم الغد ، الحارس ، اخبار الساعة ، الاسبوع ، الرسالة الجديدة ، الوادي ، الثقافة الجديدة ، المثقف ، الفكر ، الكتاب..الخ.وغيرها من المجلات ، اما الصحف اليومية فقد كانت تخصص صفحة من صفحاتها للادب والفكر والفن يسهم فيها ابرز الكتاب والشعراء والفنانين .

وقد استمر هذا الزخم الادبي في الصحف والمجلات ، رغم تعطيل الكثير منها حيث كان الادباء يعرضون عن ذلك بما يصدرون من مؤلفات ، حتى بلغ اوج النشاط في بداية ثورة تموز عام ١٩٥٨ ففي هذه الفترة (من عام ١٩٥٠ ــ لغاية ١٩٥٨) برزت القصة القصيرة الفنية الى الوجود والرواية الحديثة ، وظهرت المسرحيات والتمثيليات ، كما ظهر العديد من دواوين الشعر الحر لشعراء العراق البارزين في هذا الميدان ، وفيها معظم نتاج تلك الفترة للاوضاع الاجتماعية والسياسية السائدة آنذاك .

وقد باتت الصحف والمجلات الادبية تتسابق من اجل الحصول على نتاج الادباء العراقيين كما راحت المطابع العربية تعنى عناية خاصة بالانتاج العراقي . بل ذهبت المجلات الادبية في البلاد العربية (كالاديب والاداب والهلال والحكمة والقلم الجديد والرسالة والثقافة والمعرفة) الى محاولات اوسع في اجتذاب الكتاب العراقيين اليها . حتى ان مجلة الاداب اللبنانية ــ وهذا على سبيل المثال ــ جعلت من بعض الكتاب العراقيين على رأس محرريها ، يغمرون المجلة بانتاجهم ويغربلون انتاج الاخرين . وقد برز في هذه الفترة ادباء على مستوى عال من الثقافة وعمق التجربة والاصالة .

ومن جراء ذلك ... ظهرت دراسات ادبية عراقية عميقة متبلورة في مختلف مجالات الادب ..الذي تميز آنذاك بالعمق والتحليل والدقة في التعبير ، واصبح للادب العراقي شخصية مستقلة ذات طابع ولون خاص .

لقد عالج الادباء العراقيون فنون الادب ، ونحوا منحى ادباء المدارس الفنية في العالم فظهر التداعي في القصة والشعر ، وظهر الحوار الداخلي ، وظهرت الفلسفات الادبية في الكتابة ، وقد قام الفنانون العراقيون الذين عادوا من اوروبا بدور مهم في تطعيم الادب بانتاجهم وبنقدهم الفني .

وعلى هذا فقد ابتعد الادب العراقي عن مجال الاجترار والتكرار الى حد ونبذ اللغو والاطالة ، والاقتناص البلاغي الى غير ذلك ،واصبح الفكر هو المسيطر الاول على الحركة الادبية في اطارها الشاعري الخاص .. فظهرت تفسيرات جديدة لمفاهيم الادب واللغة ، واعطيت للكلمة الواحدة حياتها الواسعة لتتطور وتنمو وتزدهر تحت ظل معان كثيرة ، واصبح النقد الادبي يعالج الموضوع برمته لا يتسقط الاخطاء ولا يقتصر على عبارة ولا ينقد الجزء دون الكل بل ينقد موضوعيا ويساير النمو العضوي للنتاج ، ولا يقتصر على الاسلوب او الشكل .

وتميزت الحركة الادبية في تلك الفترة بظهور الشعر الحروالاعتزاز بالشعر العمودي والشعبي مع تطوير لغته وانفتاح الابواب امام المسرحية العراقية الهادفة والقصة المتحركة والرواية الطويلة . ومع ان هذه الاتجاهات قد دخلت بعمق في الادب العراقي بحيث اضحى من المتعذر تقويضها او محوها من الوجود اي انها اثرت في ادبنا تأثيرا جديا ، وحولت اذهان الادباء الى مفاهيم جديدة متطورة ، الا ان اندفاع الحركة الادبية لم يستمر طويلا فقد راحت الحركة الادبية في العراق تتقهقر تدريجيا وراح الادباء يبتعدون عن المسرح الادبي ويشرنقون انفسهم ويسربلون نتاجهم بتعبيرات غير مباشرة وبمعميات المعاني ، وبتلاشي الحركة الادبية تساقطت المجلات الفكرية واحدة بعد اخرى حتى اضحى الميدان الادبي وكأنه مجرد قلعة اثرية عفى عليها الزمن ليس فيها سوى معالم صامتة تشير الى تواريخ حياتها الزاهرة .

وهنا تتبادر الى الذهن اسئلة ثلاثة : (١) ما هي اسباب الركود الادبي ؟. (٢) ما هي مظاهر ذلك الركود ؟ (٣) وما هي الحلول لانعاش الحركة الادبية ؟.

ارجو ان لا يغرب عن البال ان المكان الذي احاضر فيه الان هو جمعيتكم البغدادية المحترمة التي يمنع نظامها الداخلي من التطرف الى ما لا يبيح التحدث فيه : ولهذا فانني ساقصر الكلام على الجوانب الادبية والاجتماعية والنفسية التي ادت الى هذا الركود .

اولا ــ اسباب الركود :

آ ــ انعدام التشجيع الادبي والمادي بشكل واسع وواقعي .

ب ــ شعور الاكثرية الساحقة من الادباء ان ميدان الادب قد جر عليهم مشاكل هم في غنى عنها .

ج ــ القلق من المستقبل ، وعدم وجود الضمان المادي لمعيشة الادباء من اقلامهم .

د ــ الخسائر المادية التي تعرض لها الادباء حينما اقدموا على طبع مؤلفاتهم ومجلاتهم لسوء التوزيع وعدم وجود ما يعوضهم عن ذلك.

واحسب ان هذه الاسباب تكاد تكون طبيعية في اطارها العام بعد الثورة اذ ان مجتمعا جديدا قد ولد بمفاهيم جديدة ..وان طبقة من الادباء قد ظهرت الى ميدان الادب الذي لم يتميز بالاستقرار والضمان

الملل

وعلى الاقل
جارين كنا كنت افقر من سأل
عن نبذة من اي شكل
عن نتفة حتى وشل
عن خطوة اخرى سأخطوها . وهل ؟
وخدعت نفسك طالما خدع الملل
شوقا صغيرا فاكتهل
وسألت يا ما قد سألت ولم أقل
الا وشل
الا حطامات الجمل
هيهات لا الهو بدنياك الوديعة يا حمل
ابكيت قلبك مرة . ما كنت اقسى من فعل
وعلى الاقل
كنت الصديق الوذ منك ومن تصورك البطل
أنا كنت ابخل من نخل
كم كان يربكني الخجل
حتى الخجل ؟
احببته حتى الخجل !
.. وقرأت قصتك اللطيفة في عجل
وعرفت من بدء الحكاية انني ذاك البطل
صنم تشبث وانفعل
انكرته !؟ هل كان افقر من سأل
عن نبذة من اي شكل
عن نتفة حتى وشل

لندن — صلاح نيازي

لكي ينتج الاديب في مناخ صحي مطمأن .

ثانيا ـ مظاهر هذا الركود الادبي : ـ استطيع ان الخص مظاهر هذا الركود بالنقاط التالية :

(آ) عدم وجود مجلات ادبية متنوعة يصدرها الادباء تختص في نواحي الادب المختلفة كالقصة والرواية والبحث والنقد والشعر .

(ب) عدم وجود نواد وجمعيات ادبية نشطة يلتقي فيها الشعراء والكتاب على اختلاف نزعاتهم الادبية يبدون فيها آراءهم ويناقشون ما جد في مجالات الادب .

(ج) عدم وجود مسارح دائمة تعمل على جذب الادباء اليها لكي ينتجوا مسرحيات على مستوى رفيع .

(د) عدم وجود مجلات تعنى بالترجمة والتعريب ونقل الادب العراقي الى القارىء الاجنبي والعكس بالعكس .

(ه) عدم وجود نهضة سينمائية تستطيع اجتذاب الكتاب اليها للاسهام في كتابة قصص الافلام والسيناريو والحوار .

(و) قلة عدد الكتب والدواوين الشعرية وقلة عدد الذين يسهمون في النشاطات الادبية المختلفة واقتصار الميدان الادبي على عدد ضئيل جدا من الادباء العراقيين .

(ز) قلة عدد المحاضرين في القضايا الادبية في النوادي والجمعيات على كثرة عددها في العاصمة والالوية . اذ لو رجعنا الى انظمة النوادي والجمعيات في العراق لوجدنا فيها فقرة تنص على تشجيع الحركة الثقافية ..ولكن كم منها قد طبق ذلك واسهم في تنشيط الادب والفكر بشكل عام .

(ح) قلة الصفحات الادبية الممتازة في الصحافة اليومية .

(ط) انعدام الصحافة الادبية الراقية في الالوية والاقضية والنواحي وندرتها في العاصمة بغداد ، وهي مركز الاشعاع الفكري والحضاري في تاريخنا الادبي .

ثالثا : الحلول لانعاش الحركة الادبية : ان الحلول التي ارتأيها في هذا المجال هي حلول لا يجوز تجزئتها اذ ان بعضها يلازم البعض الاخر ويعتمد عليه . وارى ان ابرزها يتحدد بالنقاط التالية :

١ ـ ضمان حرية التعبير بأوسع ابوابه وبحدود النظام والقانون.

٢ ـ التشجيع على اصدار المجلات الادبية ذات المستوى الرفيع يسهم فيها ادباء بارزون وتساعد الدولة على دعمها وتشجيعها .

٣ ـ اصدار مجلات ذات اختصاص في مجالات الادب ، كالقصة والرواية والشعر والنقد : وانني هنا ادعو الى اصدار مجلة للشعر بشكل خاص تتضمن الاقسام الثلاثة التالية : قسم للشعر العمودي والاخر للشعر الحر والثالث للشعر الشعبي .

٤ ـ تخصيص جوائز للدولة لاحسن كتاب عراقي او ديوان شعر او قصة او رواية وما الى ذلك .

٥ ـ تشريع قانون للتفرغ الادبي ـ يدفع الادباء الى الانتاج الجيد . ويضمن لهم العيش الكريم .

٦ ـ دعوة الجمعيات والنوادي الى تبني اصدار مجلات فكرية والى تحديد مواعيد في برامجها السنوية للندوات الادبية والمحاضرات والمناظرات وتقديم مسرحية واحدة على اقل تقدير دعما للادب وتشجيعا للنهضة المسرحية .

٧ ـ اصدار مجلة للترجمة والتعريب تهتم بالانتاج العراقي خاصة.

٨ ـ التأكيد على اسهام الادباء العراقيين في جميع مجالات الاعلام الادبية والطلب الى الصحف العراقية كافة بضرورة تخصيص احدى صفحاتها للادب والفكر .

٩ ـ الدعوة الى تشجيع اصدار مجلات ادبية في الاقاليم والاقضية والالوية وان تختص تلك المجلات بادب القرية او الناحية او اللواء الذي تصدر به ، لكي تتبلور الصورة الواقعية للادب العراقي .

١٠ ـ التقليل من الاجترار الادبي ، والتأكيد على الادب الابداعي في القصة والرواية والشعر والمسرحية .

١١ ـ قيام الادباء من جانبهم بالاسهام في كل تلك الحقول ، وتشكيل مجموعات ادبية خاصة تأخذ على عاتقها دراسة الكتب والمسرحيات والدواوين الشعرية وطرحها على المجموعة للبحث والتدارس وبذلك ينطلق حوار ذهني حولها ، يعود بالخير على الحركة الادبية .

١٢ ـ تبادل الكتب والمراسلات مع الجمعيات والنوادي الادبية في الخارج وتشجيع الزيارات الادبية ما بين الاقطار المختلفة .

١٣ ـ تكريم الادباء وتقديم المكافآت المادية والمعنوية لهم ولعوائلهم من بعدهم . ونصب التماثيل لهم واطلاق اسمائهم على الشوارع المهمة في مسقط رؤوسهم ، واصدار الكتب عنهم ، لكي يكون ذلك حافزا للشباب على متابعة اعمال ونتاج ادباء بلادهم والاقتداء بهم .

١٤ ـ تهيئة مهرجانات ادبية في موسم معين ، في كل قرية او مدينة ، يتبارى فيها ارباب القلم ويطرحون ما لديهم من آراء ونتاج فكري ، تكون حصيلته نهضة ادبية شاملة .

بغداد — خالص عزمي

مكتبة الاديب



غـــادة افاميـــا

مسرحية شعرية ـ عدنان مردم بك ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع منشورات ببيروت

كان حدثني صديقي الشاعر الكبير عدنان مردم بك ، منذ ثلاثة أعوام ، عن عزمه على نشر هذه المسرحية الشعرية الوطنية ، العاطفية : «غادة، أو ثوار أفاميا » ، ورحبت (١) آنئذ بالفكرة ، وباركت عزمه ، في أمل ان يرى هذا النتاج الشعري الحديث عنده النور بين دفتي كتاب ، بعد ان رأى كثير من نتاجه الشعري المسرحي ، الاول ، والسابق ، النور على صفحات الجرائد ، والمجلات (٢) ..

وفي الحقيقة ، ان عناية مؤلفنا الشاعر الكبير عدنان مردم بـك بالشعر المسرحي ليست بنت يوم ، أو ليلة ، ولا بنت سنـــة ، او سنتين ، او ثلاث سنين ، وانما هي (حس) ابداعي ، اصيل عنـده ، يرجع الى أيام اليفاعة ، والشباب ، الى ثلاثين عاما خلت ، أيام كانت «التطلعات» الى ادب مسرحي ، شعري ، او نثري ، مجرد حماسة لابتكار، وتطوير ..ايام لم يكن من رائد للمسرح الشعري في الادب العربي غير أحمد شوقي ..بينما كانت سورية تجد بنواديها الفنية ، وفرقها المحترفة لايجاد المسرح ، والمؤلف ، والنص ، والجمهور على السواء ، ثم لم تقو على ايجادهم الا لفترة قريبة ، بعد الاستقلال ، وفي مطلع الستينيات من هذا القرن الحالي ، القـــرن العشرين ، فتأسست «الفرقة القومية» ثم أوجدت الدار ، وهي مسرح ابي خليل القباني بدمشق ، وقدمت العروض المتتاليـة ، ووجد النقد الفنـي والادبي ، مما لم يسبق اليه من قبل ..

وقد كنت أحث صديقي الشاعر الكبير عدنان مردم بك على السماح للفرق الفنية ، والتمثيلية بتقديم شعره المسرحي ، خاصة ، والى الان لم تقدم هذه الفرق ، خاصة الرسمية منها الا نتاجا (٣) عربيا ، وسوريا نذرا ، منه عرض شعري واحد ..

ولست أخفي ان هذه المسرحية «غادة ، او ثوار أفاميا» بالذات، مثل مسرحية «العباسة» ، و «يوسف وزليخة» لمؤلفنا عدنان مردم بك قد طلبت مني ، ومن الصديق المؤلف ، مرارا لتقدم في المسرح القومي عندنا ، او من فرق هاوية ، ومحترفة اخرى ، مثل «رابطة المثلين» ، او فرقة التلفزيون، وغيرها .

وقد كان الشاعر الكبير عدنان مردم بك ، مع ذلك ، يتردد فـي القبول ، او في السماح بتقديمها للجمهور ، ويروح يسألني ، فـي هدءات من لقاءات في ندواته ، في داره الميمونة العامرة ، في زقـاق فخر الرازي بدمشق ، هل تستطيع فرقتنا الناشئة تقديـم مسـرح شعري ، أم هل تستطيع فرق محترفة، وهاوية ، لا تزال تلوب فـي موضوعات عامية، وبوليسية، او درامية مفتعلة ، او سوقية ، تقديـم ادب ذهني ، تحليلي ، شعري ، وفصيح ؟!

وأروح بدوري أشجعه ، او على الاقل أبث الثقة في نفسه بهؤلاء الشباب الذين يبنون صرح نهضتنا المسرحية باللبنات التي يجدونهـا جاهزة امامهم .. وحقا اننا اليوم في نهضة فنية ، ادبية تعانق الفن المسرحي ، والادب المسرحي على السواء ، وان (الاشواط) التي قطعها التأليف المسرحي ، النثـري ، او الشعري ايضا اشواط مشرفة ، او على الاقل مطمئنة (٤) .. وتكاد تشارف ان تواكـب الاشواط التي قطعها الفن المسرحي عندنا ..

ومن هنا ، فان (موقف) نقدنا ، وجمهورنا من المؤلفين المسرحيين، ومنهم شاعرنا الكبير عدنان مردم بك اليوم ، في عـام ١٩٦٦ ، غيـر موقفهما منهم عام ١٩٣٥ .. ان (الاستهلاك) المحلي ، اليومي تقريبا ، اليوم ، الذي للفرق الرسمية ،والمحلية ،الهاوية ،والمحترفة ، هـو الذي يتطلب (الانتاج) الجيد ، والبسيط ، وعلى المؤلفين ان يستجيبوا له ، وانهم فاعلـون ..

البناء المسرحي : تقع «غادة ، او ثوار افاميا» في اربعة فصول ، كل فصل منها يحوي على عدة مشاهد غير مرقمة ، احيانا اربعة مشاهد، واحيانا ستة مشاهد ، او اقل ايضا ، وتتسلسل هـذه الفصـول ، ومشاهدها على النحو التالي :

الفصل الاول : الجيش الروماني الفاتح ، المغير ، يجوب ساحـة مدينة «افاميا» الرئيسية بزهو ، وخيلاء بينما يستمر الفتك ، والبطش بالاهالي..في الزقاق (تميم) ، و (نايف) ابناء شقيق (الوليد) زعيـم المدينة يتحاوران في انتصار العدو ، وخيلائه ، وفتكه وقوته .. تطـل عليهما «غادة» ابنة الوليد مستنكرة الحال التي عليها البلاد ، وحيـن يسألانها لم جاءت تؤكد انها جاءت لاستطلاع الحقيقة ، ثم ينسحبون... تسمع جلبة بين الجنود ،والشعب ، ويظهر الضابطان الرومانيان «سابا» ، و «روبين» بين جنودهم يتحاوران في الفتح ، وعلى الخصوص حالة التقتيل ، والفتك بالشعب ..ان «سابا» متفجر ، يستنكر بشكل ظاهر حال جيشهم ، ومعاملته للبلاد ، فيلمح له «روبين» بأنه يجبـن ويلين ، من دون شك ، بسبب الحب ، ثم ينسحب ..

تظهر «غادة» ، ويكون لقاء اول بين «سابا» ، و «غادة» ويكـون تأمل في الحال ، وبوح في الحب ، وشكر على الصنيع الذي أسداه لاهلها من الرأفة بهم ، فيؤكد لها أنه سيقيم من نفسه حصنا لهم .. ونعود من جديد الى مشهد الناس ، وجلبتهـم ، ليظهر «الوليد» ، و «نايف» ، و «تميم» يتحاورون في حالة العذاب ، والهوان ، التـي هـم عليهـا ..

الفصل الثاني : اجتماع سياسي ، وعسكري بين القائد العـام «بيدا» واعوانه ، ومنهم «سابا» و «روبين» ، يتبين منه ان الفتح مضى عليه شهر ، والقوم لم يوهن لهم عزم عن المقاومة ..هنـا لا يتوانـى «سابا» من انتقاد حالة الظلم ، والفتك التي خلفها الجيش ، وينبههم ان السيوف لا تفتح القلوب ، فيعود «روبين» يلمح له بالحب ، ليسأله القائد العام «بيدا» : من تكون الفتاة التي يحبها !؟. فيخبره صراحة، بأنها «غادة» ابنة الوليد الحسيب والنبيل والشريف .. الا ان القائد العام يبادره بنعتهما بأنهما اعداء لهم ، فلا يرعوي لذلك ، ويستمـر يمتدح الوليد ويفصح عن حبه ..

يقدم «الوليد» بينما القائد العام «بيدا» يتهدد ، وينـذر .. يستفسر «بيدا» من «الوليد» عن سبب قدومه ، فيجيبه بانه قدم من أجل التفاهم ، والاخاء والتعايش بسلام ، فيطلب «بيدا» منه دليلا على ذلك ، ضحية تقدم في عيد النصر الذي سيقام في الغد .. ورغـم تقديم «الوليد» نفسه ثم تقديم الشابين بعده ايضا نفسيهما ، ولـو وديا ، يطلب «بيدا» اللفظ «غادة» ضحية ، ويصر على ذلك ، فيستنكر «الوليد» ، وصحبه ذلك ، ثم يرفضه ..

الفصل الثالث : في دار الوليد ، بعض وجوه افاميا ، وثوارها

يتحاورون في حال البلاد ، وطلب العدو.. ويبدون استعدادهم للمقاومة، والقتال .. بينما الوالد «الوليد» حائر بين حبين الوطن ، والابنة ..

يدخل عليهم رسول من «بيدا» ليأخذ الضحية ، واذا به «سابا»!! فيخبرهم بانه جاء مكرها ، وأنه قبل بالمجيء حبا بالواجب ، في حين هو يحبهم ، وهو بالاحرى معهم ..هنا تدخل «غادة» فتهون عليه ، فيبادرها بالغزل ، الا ان الاهل تفهمه انه ان كان فعلا يحبها وجب عليه ان يرفع الاذى ، والعار عنها ، ويطول المكوث .. واذ بـ « روبين » والجنود يحضرون يتفقدون رسولهم « سابا » ويحيطون بالحضور وبالضحية ، ورغم أن «سابا» يطلب من «روبين» الانصراف ، ويطلب اليه الرجوع الا ان «روبين» يصر على اصطحاب الضحية ..

الفصل الرابع : عيد للنصر ، ولحرق «غادة» ، بعد ذبحها .. عرض عسكري لذلك .. بينما الشعب متحفز وثائر .. يبدو «سابا» في الشارع العام متبدلا ، يتحسر بل ينقم ، الثوار يتوعدون .. ويمر موكب « بيدا » الى المذبح .. ونتقدم من «المذبح» ونسمع الكاهن يرتل للنار ، ونرى «غادة» مقيدة تقاد اليها ، وحولها بعض اهلها وسابا ، وروبين ..

يطلب بيدا من سابا ، بفلظة ذبح غادة فيفاجأ ، ويحجم عن ذلك، ويرفض .. ثم يلين ، او بالاحرى ينقلب على سيده الفظ ، ويتناول السيف يهوي به عليه ، ويرديه قتيلا .. لولا ان روبين يبادره بطعنة انتقاما لسيده ، فيرد له بدلا عنها طعنة ، ويموت الصديقان الضابطان سابا وروبين مطعونين ايضا .. هنا يتقدم الاهل ليفكوا قيد غادة ، ويقتادوها الى قصرها ..بينما يترحم الوليد على سابا ، مذكرا بجميل صنيعه معهم ..

مصادر المسرحية : تلك هي المسرحية ، في بنائها الفني ، الادبي، كما وضعها المؤلف .. انها (سرد) قطاعي ، لحادثة ثورة على الظلم والعسف ، والفلظة والفظاظة .. ثورة تتحقق وتنتصر ، وتنجي ابنة زعيم وطني ، ظل مع شعبه يقاوم بكرامة وشرف حتى انتصر ..

لا شك السرد هنا ، هو الذي يفتح المجال لكل من التحليل ، والتفنيد .. مثلا لمواقف الهوان ، والعذاب عند «الوليد» .. والحب والواجب، عند «سابا» .. والمقاومة ، والثورة عند «نايف» ، و«نميم» ثم الانتصار.

هل نقول ان (المسرحية) ، اذن ذهنية، مواقفية، ما دامت تحليلات لتجارب ، وتفنيدات لمعان كبرى ؟. ثم وهذا هو الاهم ، ما صلتها بالتاريخ ووقائعه ؟!.. سألت الصديق المؤلف من اين استلهم موضوع مسرحيته ، وهل لها اساس من تاريخ ؟! فاجابني بأنه تخيلها تخيلا او بالاحرى تفكرها تفكرا ، وأنها اذن متخيلة ، متفكرة .. ثم أردف الى ذلك يقول :

ان بذرة تكوين المسرحية «فكرة» حق الشعب في سيادته ،وحريته، وغلبة هذا الحق على ظلم المحتل ، وعسفه ، وبطشه .. وانها «ثمرة» من ثمرات تجربة سورية العربية مع المحتلين المنتدبين ، والتي انتهت بالاستقلال وجلاء الجيوش الاجنبية عن البلاد ..

لنقل ، بعبارة اخرى ، ان المسرحية صدى كفاح الشعب ضد المغير المحتل ، ثم انتصاره عليه .. وقد حمله المؤلف موضوعا اسطوريا عاطفيــا .

فنية المسرحية : ولكن ، مع ذلك ، اين الثقل في العمل المسرحي فيها ؟! هل هو الموضوع العاطفي ، اي الحب بين غادة ، وسابا .. بين ضحية لجيش فاتح ، هي ابنة زعيم وطني ، وبين قائد منتصر يحبها ، ثم لا تهون عليه .. ام هو الموضوع القومي ، اي الثورة ، والمقاومة ، حتى النصر !.

ومن يثور هنا ؟!.وهل نجاة «الضحية» هو بفضل ثورة الشعب؟!. الملاحظ ان «الحادثة» الكبرى في المسرحية ، التي تحتم الحل والخاتمة، أيضا هي انقلاب الضابط الروماني «سابا» على سيده وقتله ، مدفوعا بحبه ، لفظاظته وغلظته .. كان بمقدور المؤلف ان يعطي الشعب قسطا اوفر ، من المبادرة للثورة وتنفيذها ، اكثر من النقمة او التحفز ..الا ان الحادثة الكبرى ، وهي انقلاب العاشق غطت على ذلك .. ولذلك رجعنا ، من جديد ، الى اجواء الحب وتفنيدها ،و الى الموقف الشاق الذي يتعذب فيه قائد مغير بين حبه ، وواجبه .. ورجعنا بالتالي الى تحليلات قطاعية ، وسرد قطاعي ايضا ..

وفي الحقيقة ، المسرحية من النوع الدرامي الحديث ، وكدت أقول «التشيكوفي» ، الذي يقوم على عرض المشاهد ، ووصفها ، وتفنيدها ايضا من الخارج ..لولا أنها تعج بالتحليلات ، وتغلب السرد .. أي انها سردية تلحد الى النوع القطاعي ، دون ان تتنكر للاصول السلفية من حكي وتحليل وتفنيد ..

الفتح ، والفتك بالمغلوب ، ثم طلب المهادنة ، وبالتالي طلب ضحية ، والتي تكون «غادة» عشيقة سابا احد قواد الجيش المنتصر.. ثم عذاب العاشق بحبه وواجبه والذي اخيرا لا تهون عليه محبوبته .. كل ذلك ، كان ترفده مشاهد جانبية وقطاعية ، وايضا اساسية للشعب ، والسابلة والوجهاء والقواد حتى ينتهي العمل المسرحي بانتصار الثوار ، ونجاة ضحيتهم ..

لنلاحظ ايضا ، ان الذي يقرب المسرحية من النوع القطاعي الحديث ، انها لا تقوم على قاعدة الوحدات الثلاث ، وحدة الزمان ووحدة المكان ، ووحدة العمل ايضا ..اذ الزمان فيها اكثر من اربع وعشرين ساعة ، ونتبين من حوارات المسرحية ان تأزم الحال ، وايضا العمل المسرحي فيها استغرق زهاء شهر ونيف من المقاومة ، والاخذ والرد .. بينما المكان منوع وليس واحدا ، فهو الساحة الرئيسية ثم الشارع العام ثم الدور والقصور والمذبح وغيرها .. في حين العمل المسرحي هو الفتح والتضحية ، وهو الحرب والسلم ، وهو الحب والواجب وهو الانقلاب والارتداء وهو المقاومة والانتصار .انه متشعب في اتجاه سردي وتحليلي وتفنيدي قطاعي في الاساس .

الموضوع ، والامكان فيه : هل نصادف في التاريخ ، او في الواقع مثل هذا الموضوع الذهني الوطني العاطفي المتفكر المتخيل على حد قول المؤلف ؟. ان فكرة التضحية بالانسان مبثوثة في تاريخ الشرق القديم ، وايضا اليونان ، للطقوس الدينية والمدنية والعسكرية ..وقد كانت التضحيات تصيب ابناء الملوك والامراء والقواد وتصيب ايضا ابناء المغلوبين من الاعداء ..

ومنها ما رواه «لوقيانوس السميساطي (٥) في نبذته « في الآلهة السورية » عن استمرار عادة رمي الاولاد من على بوابات معبد هنيبرابوليس حتى زمانه،اي منتصف القرن الثاني الميلادي ، اي اوائل العصور الرومانية في سورية ، وهي على الارجح صورة للتضحية بالاولاد في سورية ..

ومنها ما يروى عن تضحية «سلوقس نيكاتور» مؤسس المملكة السورية ، بفتاة من بنات اللاذقية عند بناء اللاذقية ، وهي رواية مطعون فيها ، ووجه الطعن فيها انه ابتنى عشرات المدن في سورية والعراق ، ولم يرو عنه في احداها تقديم أضحية من بني البشر ..

ومع ذلك ، اذا ذكرنا ان التقاليد الدينية الشرقية نفسها كانت فدت أضحية الانسان ، منذ فترة سحيقة ، عند البابليين ثم الاشوريين ثم مع ابراهيم الخليل والعرب ، استطعنا تفسير ندرة مثل هذه الاخبار عن التضحية بالانسان .. وفي المسرح اليوناني ، والفرنسي مسرحيات تقوم على حوادث التضحية بالانسان ، منها مثلا التي حول «ايفيجينيا» ، وغيرها ..

واذن ، لا غرو ان يطرق شاعرنا الكبير عدنان مردم بك موضوعا اسطوريا ذا اساس ثابت في شرقنا القديم ، والحديث ، فيعيدنا الى أجوائنا الشرقية ، والسورية القديمة .. اما لماذا جعله في « الفترة الرومانية» في سورية العربية ، فلعله وجد من الطرافة المقابلة بين حب الرومان للواجب وغلظتهم فيه ، وبين الحب ، او ايضا بين حق الشعب

في سيادته ، وبين مقاومتة وثورته ، فاصطنع له هؤلاء الاشخاص ..

أمثلة متنوعة : من الامثلة على التصوير الخلقي ، تهديد «بيدا» بتعذيب الوليد ، وفيه يقول :

بيدا للجندي :

ما شانه حتى أتا ... ني واردا يتوسم
أتراه جاء لكسب عط ... ف أم أتى يتظلم
سأريه ما يصمي الفؤا ... د من الشجون ويؤلم
حتى يكون لغيره ... درسا يغص به الفم

ومن الامثلة على تصوير بطش المغير المحتل اقوال السابلة :

أحد الناس :

انه الجيش فاهربوا ... حذرا من معاطب

صوت :

أبتاه أني قد أصبت

صوت آخر :

أخي بربك سارع
ان الذئاب محيطة ... والعنف ليس بنافع

ـ صوت قعقعة اسياف الجند ـ أحد الناس :

اني قضيت ولست من ... ريب المنون بجازع
وطني فداك أقاربي ... وعشيرتي وأضلاعي
الناس تبلى والحقا ... ئق فوق كل مطامع

ومن الامثلة على الصراع في نفس الوليد بين حب ابنته ووطنه قوله :

اذا فكرت في فقد ... ابنتي او فقد اوطاني
سخوت مع المصيبة با ... بنتي وكتمت اشجاني
أغص بمقلتي والدم ... ع نيران باجفاني
ولم أنبث على وجع ... بآلامي ، لانسان
أحب بنيتي حبي ... الحياة بجفن نشوان
وليس بمانع عن وا ... جب ، حب ولا ثاني
وما حب البنين بصا ... رفي ، عن حب أوطاني
كلا الحبين يعصف صا ... خبا ، بعويف شيطان
وما ولد الفتى الا ... المنى بجفون وسنان
نحس بها ويعيا النط ... ق ، عن شرح وتبيان
وحب الارض من شرف ... ومن دين ، وايمان
وما حب اذا ما قيس ... يعدل حب أوطان .

ومن الامثلة على المكاشفة بين الضحية وعشيقها ، ساعة يقدم على اهلها لاقتيادها الى المذبح ، هذا الحوار البديع :

غادة :

هون عليك قليلا ... فالامر ليس جليلا
وما الردى بمخيف ... لمن يروم جليلا ..
علام تجزع جبنا ... وتستغيث ذليلا !
والعمر ، ما أنت دا ... ر ، طيف يلم قليلا ..
وهل عرفت خيالا ... ألم يوما طويلا ؟!.
ما كان يشجي حما ... مي ، ان رد خطبا جليلا
دمي يقل لاهلي ... فدى وكان قليلا
أليس بذل حياتي ... للاهل شيئا نبيلا ؟!

سابا :

أريدك للهوى تحيين ... ناعمة بآمال ..
أريدك طائرا يشدو ... بأسحار وآصال
شبابك كالضحى يفتر ... عن حظ واقبال
وابصر فيك أكوانا ... تميس بثوب مختال
وفي عينيك من فتن ... الصبا أضواء آصال
جليل ان يوارى الحسن ... في حفر بأسمال
ويرمى بالصبا الفينان ... عن عرض كصلصال !.

وليد :

أجئت مفازلا والا ... مر لا يدعو الى الغزل!.
رثيت لعلة ونسيت ... آلافا من العلل
وشفك شجو من تهوى ... وضقت به من الملل
تثور الغادة وتصيح ... أشفاقا كمختبل
وكم من غادة طرحت ... على الاطلال كالظلل

سابا :

أكان هناك من ذنب ... اذا افصحت عن وجدي
نطقت بلاعج البلوى ... ورحت اقص ما عندي
وما ذنب اللسان اذا ... أفاض بحرقة الوجد
وهل من ريبة ان رحت ... أفضي بالذي عندي
أكان يعيبني وجد ... كشوب النار في الوقد
اداري جاهدا قلبي ... بمكذوب من الوعد
وأخدعه بآمال ... تثير شجا ولا تجدي
لواعج للهوى اشقى ... بجامح نارها وحدي
وقد نزهت اشواقي ... عن الاطماع والحقد
وقد طهرت عن درن ... هواي ولم أخن عهدي..

نايف (ساخرا) :

ان الذي يهوى الجمال ... يجود في بذل الكثير ،
ليس الهوى حسن البيا ... ن ، يصاغ، بل صدق الشعور
وأرى هواك من اللسا ... ن وليس من وحي الضمير
لا يستوى قول وفعل ... في القياس من الامور
قد يحسن المأثور غير ... الحر من قول مثير
ان الذي يهوى الجمال ... يجود في بذل الوفير
ليس الهوى حسن البيا ... ن من النظيم، او النثير
العشق تضحية وبذل ... بالقليل ، وبالكثير..

تميم :

لو كنت تصدق في الهوى ... لرعيت من تهوى بصدق
وسللت سيفا دونها ... لتذود عن حب وحق
أين الدليل ولم تصن ... عهدا ولم تصدق بنطق..
هلا غضبت لمن تحب ... وذدت عنها ذود صدق
وغدا سيلقى بالتي ... تهوى لنيران ،وحرق..

الخ..الخ.. مما يجعل المسرحية محاولة ارتياد قطاعي ،لاستكشاف النفوس والافئدة والعزائم والآراء ..

الاسلوب والحوار : لم أنوه حتى الان بالحيوية في الحركة المسرحية ، وبالتالي بالحيوية في الحوار المسرحي في غادة ..ومع ذلك تلك خصيصة هامة ، مهيمنة على المسرحية كلها ، تجعلها تلامس بفصولها ، ومشاهدها تجارب الابطال خفقة خفقة ، وعزيمة عزيمة ، عند كل حنية من حنايا العمل المسرحي ..

---

(١)ـ تجد التنويه بذلك ، في كتابنا «الادب المسرحي في سورية» دمشق ، ١٩٦٣ ، ص ٨٢ ، والكتاب جرد تحليلي ، نقدي للادب المسرحي السوري ، العربي ،منذ ابي خليل القباني ، الى اليوم.. (٢) ـ نشر عدنان مردم بك بين عامي ١٩٣٤ ـ ١٩٣٦ ، في جريدة الايام ، ومجلتي الانسانية ، والعرفان فصولا من مسرحياته : عبد الرحمن الداخل ، ومصرع الحسين ، وجميل بثينة ..وغيرها .. (٣) ـ لم تقدم «الفرقة القومية» حتى الان من نتاج عربي ،سوري ، غير مسرحية «البيت الصاخب» ، لوليد مدفعي ، في حين منذ خمسة اعوام قدم «النادي الشرقي» عندنا مسرحية «مجنون ليلى» لاحمد شوقي بك..(٤) ـ مؤخرا، في سورية نشر عمر النص وسليمان العيسى مسرحيات في موضوعات ذهنية وقومية .. (٥) ـ كنت اول من ترجم الى العربية نبذة «لوقيانوس» السميساطي ، ونشرتها مع شروح وتعليقات مختلفة في مجلة الحوليات السورية للآثار ..

والحوار فيها حي ، رشيق ، معبر ، مليء بالمكاشفة والزخم والحياة ، ويظل يرفده أسلوب شعري صادق شفاف ومنوع ، هو تارة تقريري وصفي ، وتارة تحليلي تفنيدي ، وتارة اخرى حكمي وعظي ..

اما سبكها فرصين ، جزل ، يجري مع الطبع ، لا تكلف فيه ، ولا تعسف ، لا افتعال لمشاعر ، ولا تصنع لمواقف .. وهذا دليل على صدق المعايشة للاحداث ، واصالة الحس المسرحي عند المؤلف ..

والملاحظ ان البحور كلها ، في المسرحية تقريبا ، مجزوءة ، وتلك سنة يؤثرها المؤلف منذ شبابه الاول ، ومحاولاته الاولى في الادب المسرحي ، سبق بها الشاعر عزيز اباظة التي يصطنعها اليوم ..

وأخيرا ، قد تعرض هذه المسرحية بشكلها الحالي الذي هي عليه، وقد يجد بعض المخرجين ، او الفنانين ضرورة ما للتبديل فيها ، بحذف او اضافة لتقديمها ..الا أنها تظل ، في كل الاحوال قبسا من روح عدنان مردم بك الكبيرة ، وفكره الانساني ، وذوقه الرهيف ، وفنيته المستكشفة .. وفي ذلك غنى للفن ، والادب على السواء .. والى اللقاء في نتاج لشاعرنا الكبير ، جديد ..

دمشق — عدنان بن ذريل

•

سبعة أبواب

رواية ـ تاليف عبدالكريم غلاب نقيب الصحفيين بالمغرب ـ ٢٠٠ صفحة ـ منشورات دار المعارف بمصر القاهرة ـ مطابع دار المعارف بالقاهرة

قيل لي ، قبل ان اقرأ «سبعة ابواب» ،انه احسن ما كتب الاستاذ عبد الكريم غلاب . وليس قليلا ما قرأت للاستاذ عبدالكريم غلاب . فكان من الصعب على اصدار هذا الحكم حتى بعد قراءة «سبعة ابواب» . فانا ما ازال اذكر اعمالا ادبية قصيرة ومسلسلة كانت تلمع ساطعة كالاحجار الكريمة بين تلال الطين ، او اناشيد من السهل الممتنع بين المعلقات والحوليات والمدائح ..كثير من الاعمال المجيدة فلتات في لحظات عبقرية نادرة ..

وقد قضيت ساعات متوترة مع الاستاذ غلاب وراء ابوابه السبعة.. والذي ادهشني هو ان بطل القصة لم يكن متوترا ، او هكذا كان يبدو لي ، هادئا كصفحة بحيرة ..كنت اكاد اصرخ احيانا ، كما كنا نفعل في السينما ونحن صغار : ها هم وراءك !

ولكن لا يزيد الاستاذ غلاب على ان يلتفت الي بابتسامته الناعمة ، ليقول بصوته الدافيء :

ـ اعرف .

«سبعة ابواب» كتبت بصدق ورهافة حس وبساطة في تناول الاحداث ، وشرحها ، لم اعرفها في غير الاستاذ غلاب .

كنت غاضبا من اجله ..وكان صابرا طوال المحنة يسير فيها بخطوات مهيلة خلف جلاديه ، ولا ينسيه الشبح الاسود الحاقد ان يلاحظ اللفتة الطيبة ، والابتسامة المشجعة ، او الدمعة الصادقة من عين حارس شيخ ـ يؤمن بالفريزة ان هذا شر وظلم .

وحين كنت أثور ، كنت ارى وجه الاستاذ غلاب وهو يرنو الي من خلال السطور ويبتسم بحلم الانبياء ، وصبر الصديقين ، فاشعر بالخجل . ولعل السر يكمن في اختلاف مزاجينا .. الاستاذ غلاب خال من «النيروسيس» وعقد الاضطهاد ، لذلك يثيرني بحلمه ، فاتهمه بفقدان القدرة على الغضب .ثم اعود اتساءل : هل يمكن ان يثيرني لو لم يكن هو ثائرا .. واكتشفت رهافة الاحتجاج في صمته الغاضب وهدوئه الثائر ..

وليس أقدر من المحن والاهوال على ارهاف الاحاسيس البشرية. وكم تبلد النعمة قلبا طالما غرد في حضن الحرمان .. والامثلة على صدق هذا كثيرة في سبعة ابواب .. استمع اليه وهو يصف السماء يراها من خلال مثلث في قاعة الاستراحة بالسجن :

« .. اعتقد انني لم ار السماء جلية بهية مترعة بالحسن كما رأيتها من خلال المثلث .كانت تصفو حتى لكانني ارى وجهي في صفاء وجهها ، رغم الابعاد السحيقة فيما يخيل ناظري .كانت الوانها تتفاعل مع ما في نفسي من الوان .زرقتها لا تحكي لونا معروفا من دنيا الارض .. ولعله مما اختصت به السماء فعجزت كيمياء اهل الارض ان تصنع مثيله . وكانت السحب احيانا تغلفها فيتجلى فيها هذا الصراع الفوئي الذي يعطي الوانا فضية زاهية ، او سحابية غامقة .. وكانت احيانا تشع الشمس في جنباتها فتحسبها ذهبية فاتنة .. وكانت في بهائها وجلالها تستبد بناظري حتى لكأنني اتطلع الى الحرية بين احضانها .. كانت المتنفس الوحيد الذي اتخلص فيه من عالم القيود والسدود ، فاجد في رحابة صدرها وامتداد آفاقها ما يخلصني من رقابة السجان وانطباق جدران الزنزانة..»

هذا الشعور الرائع بالسماء لا يمكن ان يعبر عنه الا محروم من جمالها ..وعند قراءة هذه الفقرة فقط يدرك الواحد منا كيف يقضي حياته منحني الرأس ينظر الى الارض او الى وجوه الاخرين وافواههم وهي تنفتح لتاكل او تتفوه او تغتاب ..وهنا ايضا ندرك ما قاله المثل :

« أحسن الاشياء في الحياة نحصل عليها مجانا ..»

وينتقل الاستاذ غلاب الى وصف سماء أخرى .. هذه المرة السماء نفسية روحية محضة وهي زيارة الزوجة والابن الصغير .. وقد ترك هذا المقطع في نفسي اثرا عميقا :

« كنت فيما أحسب اكثر الزملاء صبرا واقواهم احتمالا .ولكني كنت افقد صبري اذا تاخرت زوجي عن زيارتي في الساعة المحددة من اليوم المحدد ..كنت احمل هما لا أطيقه ، يبدأ ركوبي قبل الموعد بيومين ، حتى اذا ما اقتربت الساعة المحددة ، وجدت صبري قد انهار ، ووجدت غما يملأ دنياي ، وكأن شقاء الحياة كلها يعمر قلبي . وكنت حينما اسمع اسمي او رقمي مقرونا بكلمة «بارلوار» أخطو عتبة الزنزانة في اضطراب لا تقوى ركبتاي على كتمانه مهما تجلدت . واذرع الممر في غير عجلة ، ولكني مهما ابطأت خيل الي اني اسرع . ذلك ما أحاول كتمانه .. كنت كالسكران الذي يحاول ان يخفي سكره .. ولكنه يفضح نفسه حينما يقف لتثبت الارض من تحت اقدامه .. وكنت اقطع الطريق في غير صبر حتى اذا وصلت الى باب غرفة المقابلة وجدته مقفولا في وجهي..فان طائفة اخرى من المسجونين تاخذ حظها من المقابلة ..

كنت ادخل الغرفة فتطفو الابتسامة على وجه زوجتي ، وهي التي غالبا ما كانت تزورني ..انها ابتسامة التشجيع التي كانت تنطلق من عقال الآلام والوحشة والوحدة لترد الي عالم ما بيننا ، في لحظاته القصيرة ، البهجة والامل..

في رواية «سبعة ابواب» كثير من هذه الاشراقات المؤثرة التي تثبت بدون جدل ، ان العمل الادبي المنبثق عن الواقع خير الف مرة مما يصنعه الخيال ..

وكنت اود لو ذكر الاستاذ غلاب زملاءه بأسمائهم واوصافهم ، لوجدنا انفسنا اقرب الى روح الرواية مما كنا ..والدليل على ذلك الدفء الذي شعرت به وهو يتحدث عن صلاح ، رحمه الله ، وهو شخصية في اصالة طيبتها تزيد مأساة الوطنية عمقا ، والهوة بين الخير والشر اتساعا ..

وروايات مثل «سبعة ابواب» لا تحلو قراءتها الا في مثل هذه الايام ، وبعد مرور السنين على الاستقلال .. فهي ذكرى وعبرة لشباب

ما بعد الاستقلال .. ولدوا تحت سماء جميلة لم يرفعوا عيونهم ابدا لتأملها ، والاولى لهم ان يعرفوا ما اعطاه كبارهم من دماء واعصاب ليجلوا لهم عنها الظلمة والغيوم .

الرباط ـ المغرب **حسن الشريف**

●

الشــرق فــي فجــر اليقظة

تاليف انور الجندي ـ (؟) صفحة ـ مطبعة (؟)

ليس في وسع اي باحث ، مهما اوتي من الوقت والعلم ، ان يخرج هذه الصفحات التي تجمع بين التاريخ والادب ، الا ان يكون الاستاذ انور الجندي ، الذي توافر له الوقت ، وطاوعه قلمه ، وسعت اليه المراجع ، وتيسرت له المقابلات والمحادثات .

رسم الاستاذ المؤلف صورة المجتمع من عام واحد وسبعين وثمانمائة بعد الالف الى عام تسعة وثلاثين وتسعمائة بعد الالف ، اي منذ اواخر القرن التاسع عشر الى اوائل الحرب العالمية الثانية ، في قطاعاته المختلفة ، من خلال الندوة والمدرسة والمقهى ، وعيادات الاطباء ومكاتب المحامين ، ومن ثنايا ندوات الفن وحلقات الشعراء ، ومجالس الفكاهة ، وصيحات المرأة ، ورسائل الادباء ، ورحلات المسافرين ، مسجلا الاهتزازات التي كان يمنى بها هذا المجتمع ، وتسير في مجالاته من جد وهزل ، وتجربة وخطأ ، وفكاهة ونقد ...

بدأ الاستاذ الجندي كتابه برسم صورة المجتمع المصري قبل مجيء السيد جمال الدين الافغاني اليه ، ولا سيما ما انبعث من الازهر الشريف في اواخر القرن الثامن عشر ، وقيادته الرشيدة ، وبروز علمائه الاعلام الذين مهدوا لهذا التطور الذي اصاب العالم العربي ، واحدث هذا الانقلاب الذي تمثل في الشيخ الدرديري ، وعمر مكرم ، ورفاعة الطهطاوي ، وعياد الطنطاوي ، وحسن الطويل ومحمد عبده ، وحسن العطار ، ومن سار على نهجهم ، وتأثر بتعاليمهم ، وعمل على ان يكون قدوة ونبراسا .

ولقد استطاع العلامة جمال الدين ، ان يهز الشرق كله ، ويروع النائمين ، ويمسح بيده الكهربية ، كل من لامسه ، او صافحه ، حتى وقفت الهند وايران والافغان وتركيا ومصر ، تزيل عن كاهلها كل ما علق بها من تعاليم بغنة ، وتنفض عنها غبار الجهل والتخلف .

ارخ المؤلف لهذا التحول الذي اصاب العالم من وراء الكتابة والندوة والحكمة التي كان يجتمع لها جمال الدين ، ويعمل على ان تتغلغل في الاعماق .

لكن هل وقف جمال الدين بتعاليمه عند الازهر وحده ، ام هل اثر في مجالات اخرى غير هذا الازهر الذي انقسم شبابه حيال تعاليمه ؟؟ يقول المؤلف نقلا عن الاستاذ سليم عنحوري ، وكان اكثر لصوقا بالفيلسوف واعرف الناس بنظام حياته الخاصة : « انه كان يقطع بياض نهاره في داره ، حتى اذا ما جن الظلام خرج متوكئا على عصاه الى ملهى قرب الازبكية ، يدعى : «قهوة البوسطة» وجلس في صدر فئة تتألق حوله على هيئة نصف دائرة ، ينتظم في سمطها : اللغوي والشاعر والمنطقي والطبيب والكيماوي والتاريخي والجغرافي والمهندس والطبيعي ، فيتسابقون على القاء ادق المسائل عليه ، وبسط اغوص الاحاجي لديه ، فيحل اشكالها فردا فردا ، ويفتح اغلاق طلاسمها ورموزها واحدا واحدا بلسان عربي مبين ، لا يتلعثم ولا يتردد ، بل يتدفق كالسيل .. من قريحة لا تعرف الكلال ، فيدهش السامعين ، ويفحم السائلين ويبكم المعترضين ، ولا يدع هذا الشأن شأنه ، حتى يشتعل رأس الليل شيبا وترى غزالة الصبح نرجس غزالة الظلم ، فيقفل الى داره بعد ان ينقد صاحب الملهى ، كلما يترتب له في ذمة الداخلين في عداد ذلك المجتمع الانيق . »

وقد انفضت ندوة جمال الدين بعد ما اثمرت هذا الثمر اليانع ، واعقبتها ندوة الاستاذ الامام محمد عبده ، الذي خلف استاذه في حمل لواء تعاليمه الكريمة ، ونهضته بالشرق ، ومحاربته الجمود الفكري الذي اقتلع جذوره السيد جمال الدين ..

وليس شك في ان تسجيل هذه الندوات التي قام باحصائها واثرها في الادب والفكر الاستاذ انور الجندي بالشيء المهم .. فكثير من الادباء كانوا يسمعون عن هذه الندوات ، وان كانوا قد لحظوا اثرها في جل ما كتب او سجل عنها طيلة قرنين او ثلاثة . والحق ان القاهرة قد شهدت عشرات الندوات والسهرات التي كانت تضرب اطنابها هنا وهناك في جنباتها ، يفوح منها عبير العلم كل ليلة ويشع منها نور العرفان ، فصالون «نازلي فاضل» كان يؤمه النوابغ ، وكانت قهوة «متاتيا» مجلسا لبعض رجال القلم ، كذلك كانت قهوة «جراسيمو» وقهوة استانبول و «الاسبلندبار» ...

وفي الحي الحسيني وجدت هذه النزعة مجالها في بعض مقاهي الحي الذي اطلق عليه : «لقب الحي اللاتيني» تشبها بما يطلق في باريس على الحي اللاتيني الذي يجاور «السوربون» و«الكوليج دي فرانس» و «البانثيون» ، فضلا عن اندية ادبية كان لها دوي ، واثر محمود في الادب والعلم ..

ولقد خص الاستاذ انور الجندي ، ندوة السيد البكري بالخرنفش بفصل من هذا الكتاب ، واشار الى المناقشات التي كانت تدور فيها ، والوفود التي تحج اليها عشية كل يوم ، وما كان لاصحابها : خلفا عن سلف من اثر في التوجيه الادبي ، والتطور الذي اصاب العمود الفكري في صميمه .

على ان الذي يدعو الى قراءة هذا الكتاب ، وضع كل ناد في موضعه ، وانفراده ببعض الميزات ، وطابعه الذي عرف به ، فقد كانت ندوة شيخ العروبة احمد باشا زكي على شاطىء النيل ، بجيزة الفسطاط ، يغلب عليها السماط الذي يشترك فيه كل من يحضرها ، وكانت ندوة احمد تيمور بالزمالك ، تتسم بروح الرعاية والمرح والنكات والنوادر ، وان كان صاحبها يجد بالتنقيب في الكتب ، ويغوص بين المخطوطات ، كما كان صاحبه احمد زكي باشا ، وكانت هناك ندوة طلعت حرب ، وتاريخها معروف مشهور يقترن بالتحول الاقتصادي والحركة الوطنية المصرية ..

ووسط هذا التأريخ ، لم ينس الاستاذ المؤلف ، ندوتين من ندوات القاهرة كانتا قطبي الرحى ، ومداري التوجيه بين هذه الندوات ، هما:

ندوة الشاعر الراحل : السيد حسن القاياتي ، بداره بالسكرية بالقرب من باب زويلة ، تحت سور القاهرة القديم ، وندوة البابلي بالمعادي ، او بالسيدة زينب .. ولكن الذي يؤخذ على الاستاذ المؤلف، في ذكر ندوة القاياتي ، انه ذكر ان الشاعر حسن القاياتي ، هو الذي بدأ بالاجتماع فيها ، ولكني استطيع ان اجزم بأنني كنت من رواد هذه الندوة سنين عدة في عهد صاحبها الشاعر ... ولم أدرك انا ، ولم يدرك المؤلف نفسه ، عهد الشيخ مصطفى القاياتي ، المؤسس الاول لهذه الندوة ، التي اكملها السيد حسن في عصرنا الذي خرجنا فيه نسعى الى الاندية ، ونبحث عن الندوات .

اما دار البابلي ، فقد عمرت كثيرا ، وطار اسمها في كل مكان ، بما عرفت به من الفكاهات العذبة ، والنكات المستملحة ..

وهناك عشرات الاندية ، أرخ لها ، وابرز طابعها ، وما اتسمت به ، الاستاذ المؤلف،وان كان في هذا التاريخ كثيرا ما يعتمد على الصحف والدوريات التي كانت تسجل احداث هذه النوادي ، وتبرز حوادثها على حسب ما يهوى اصحابها ، او يشتهي الرائدون منهم .. فلم ينصرف الناس عن مقهى «الحلمية» بموت الشاعر الهراوي ، وانما كان يغشاه: «الزين والاسمر وكثير من ادباء الجيل ، ويكفي ان يكون الشاعر الراحل عبدالله عفيفي في مقدمة من كانوا يزورون هذه الندوة صباح مساء وهو في طريقه الى عمله في قصر «عابدين» وكان الراحل الشاعر حسن القاياتي ، كثيرا ما يبعث بي الى هذا المقهى ، لاستطلع وجود هذا الشاعر وغيره من جلة الادباء ، ثم يصطحبني واياه في عربة «حنطور» الى ذلك المكان حيث نقضي شطر الليل الاول ، ثم نعود وقد اكتمل عقد ندوته بداره بالسكرية ..

والحق ، ان تعداد المؤلف لهذه الندوات ، يعد ضربا لم يسبق اليه كاتب من قبل سواء في القديم او الحديث ، لان جمع المادة التي يعمر بها المجلس ، واصطحاب الرواد ، وتناولهم هذا التناول الامين ، لا يتسير الا لعالم بمسالك هذه النوادي ، يلم الالمام الواسع بهذه الكتائب التي يهمها الغلب في الحديث ، والسبق في الرد والمجادلة ، وليس في مقدور اي كاتب ان يجمع هذا المتنافر على صعيد واحد ، وان اتفقت هذه الاندية في الغرض والاتجاه ، تعمل للادب ، وتفتن في النهوض به ، وتدعو الى التحليق حول موائده ..

وقد عقد الاستاذ الجندي ، فصلا ممتعا ، عن «الكتاب» ، وما كان يمثله القرن التاسع عشر ، وآراء كبار الكتاب فيه ، ثم ما كان عليه الازهر الذي كان يتغذى منه ، والازهر والجامعة القديمة ، والشخصيات التي اثرت في المجتمع «وعبت تعاليمها من هذا الجامع العتيد ،كالدكتور زكي مبارك ورأي الاستاذ العقاد فيه والدكتور طه حسين ومقالبه ومشاغباته مع اساتذته ودروس الشيخ المهدي ، والتجديد الذي دخل الازهر ، والصيحات التي علت ضد البغاء والمسكرات ، وتمثلت في الشيخ ابي العيون ، والدكتور احمد غلوش .

ولم يفت المؤلف ، ان يسجل الى جوار النواحي الادبية ، ومكاسبها ، النواحي الاقتصادية والتعاونية والطبية ، بارزة على يدي : عمر لطفي ، وعلي ابراهيم ومحجوب ثابت ، وابراهيم ناجي ، وعشرات غيرهم من الادباء الفلاسفة المتفننين غير ابواب شائقة ، تحرر للمحاماة، واثر كبارها ، والدعوة الى تحرير المرأة ودفاع قاسم امين ..

على ان الملفت للنظر حقا في هذا الكتاب ، انه بدىء بالتاريخ للادب ، واثر ندواته فيه ، وختمه صاحبه بالفن ، واثر المغنين الذين لعبوا دورا هاما في ميدان الموسيقى والغناء ، وما فعله الشعر في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن ممثلا في البارودي وشوقي وحافظ ، فضلا عن شعراء الفكاهة والمداعبات الذين احتلوا من النفوس مركزا ، ومن القلوب مكانة : كعبدالحميد الديب ، ومحمد مصطفى همام ، وحسين شفيق المصري ، وبيرم التونسي ، وطاهر ابو فاشا..

غير ان الفصلين اللذين عقدهما المؤلف في هذا الكتاب بعنوان «رسائل الادباء» و «ذكريات الصحافة والطيران» يعدان بمثابة «الرقعة» او الحشو ، بجانب ابوابه الكثيرة الماتعة .. وليس بنافع المؤلف الفاضل ، ان يدافع عن الاثبات بحجة استكمال التاريخ لهذه الحقبة .. فلقد كان يمكن ان ياتي بجديد في هذه الرسائل ، او ينشر ما وقع بين هؤلاء الادباء انفسهم من صراعات عادت بمكاسب على الادب ، وزادت من حصيلة الادباء .. والا ماذا يعني او يفيد من نشر رسالة وجهها احمد زكي الى شكيب ارسلان ، او من الانسة « مي » الى فريد وجدي، او من مصطفى لطفي المنفلوطي الى حسن انور الموسيقار .. او من الدكتور عبدالوهاب عزام الى ابنته ، او من محمد المويلحي الى سليم سركيس . وماذا يفيدني اذا علمت : ان عزيز خانكي قد عمل بالمحاماة، خمسين عاما ، وان الدكتور علي عبدالسلام خريج جامعة كمبردج ، الحاصل على الدكتوراه في الفلسفة ، قد امضى عشر سنوات في مستشفى المجاذيب .

والواقع ان الاستاذ انور الجندي ، قد شعر بأنه اثقل على القارىء ، وشق عليه بمطالعة هذين الفصلين ، او هما لا يعفيانه من اللوم ، او ياخذانه بجريدة ، فبادر الى سوق طائفة من احاديث الظرفاء والندماء الذين ترددت أسماؤهم كثيرا ولعبوا دورا هاما في مجالي الظرف والندامة ، ولكن نشر هذه الفكاهات ، لم يكن بالشيء الذي ينتظره الادباء من اديب كالجندي ، له مؤلفات عدة ، وابحاث مشرقة تدل على سعة اطلاعه ، واجتهاده في كثير من مجالات الآداب والفنون.. ودون ما شك ، فان رواية هذه النكات ، واثباتها على علاتها ، دون مناقشتها او ابداء الرأي فيها ، ليدل دلالة واضحة ، على ان المؤلف يريد ان يضخم من صفحات الكتاب ، او يسلك نفسه في عداد الذين يمطرون المكتبة العربية كل عام بسيل جارف من المؤلفات ..

فحوادث هذه الحقبة التي حددها المؤلف ، لا يستعصى ارواؤها على ناشئة الادب ، وشداة البيان ، فأكثرها مثبوت مسطور في اكثر من كتاب ، واكثر من صحيفة ، ويحفظه عدد ضخم من الادباء ، وان كان للاستاذ الجندي العذر في اثبات هذه النوادر ، فهي – في نظره – تمثل قطاعا خاصا لفترة محددة الزمان والمكان ، وان كنت انا شخصيا لا أعفيه من اللوم .. اذ ليس من الصعب على رجل مثله ، شغل نفسه منذ سنين عدة بهذا الجانب الحيوي من التاريخ الادبي اللامع ، ان ياتي بجديد ، يحمد له في باب من ابواب الادب ، وينظر اليه الادباء على انه حسنة من حسنات الجندي أجهد نفسه وعقله في تقديمها خالصة لوجه الله والادب ..

ومن المطاعن التي وجهت الى هذا الكتاب الجليل ، واصبحت وصمة عار تلازمه ، الى ان يمضي فيه صاحبه برأي ، تلك الاخطاء اللغوية والنحوية التي لا يصح ان يخرج كتاب كهذا بها ... فمن اول صفحة الى اخر سطر – وما اكثر صفحات الكتاب ، وعدد سطوره ، تختال اخطاء مشهورة ، وتمسك بعيني المطالع ايا كانت ثقافته ، وحظه من العلم والثقافة ، غير تلك الاخطاء المطبعية التي طفت على حروف جل الكلمات ..

ومهما ابتدع الاستاذ الجندي من اعذار ، او اظهر من تواضع ، فلن يعفيه اي قارىء من هذه الكوارث التي لحقت بهذا الكتاب،فشوهت من خلفته ، وأذبلت من يناعته ، وغضت من تيهه ودله ، ووقفت حجر عثرة امام شموخه واستطالته ..

على اني خدمة للادب ، اضع نفسي في مراجعة تجارب هذا الاثر الرائع ، ان اراد الاستاذ انور الجندي اعادة النظر في طباعته من جديد ، ولعلي لا اكون مغاليا ، اذا قلت : ان الاستاذ المؤلف لن يتأخر، او يتوانى او يهمل في هذا الرجاء الذي كان مجمع الرأي لكثير من الادباء .. فلعل ، وعسى ...

القاهـرة

ابو طالب زيان



ظهر حديثاً

● ليالي الرقمتين ـ مجموعة شعرية ـ امين نخلة ـ ١٢٦ صفحة ـ منشورات دار مكتبة الحياة في بيروت ـ مطبعة المطبعة بجونية لبنان .

● حبات زمرد : دراسات وطرائف شرقية ـ تأليف شفيق معلوف ـ ١٦٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق.

● الغربة ـ مجموعة قصصية ـ تأليف سلمى الحفار الكزبري ـ ١٩٢ صفحة ـ منشورات مكتبة اطلس بدمشق ـ مطبعة الانشاء بدمشق.

● بقايا الغدران ـ مجموعة شعرية ـ احمد محمد آل خليفة ـ ١٣٦ صفحة ـ مع عدة لوحات ـ حجم كبير ـ المطبعة الشرقية بالبحرين .

● شعراء اليمن المعاصرون ـ تأليف هلال ناجي ـ ٢٥٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مؤسسة المعارف ببيروت ـ مطابع دار لبنان ببيروت.

● شلال الاسود ـ تأليف محمد الصباغ ـ طبعة ثالثة مزيدة ومنقحة ـ ٨٨ صفحة ـ مع عدة صور ـ منشورات دار الكشاف ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الفجر الكاذب ـ قصص مغربية قصيرة ـ تأليف احمد عبد السلام البقالي ـ ١٣٢ صفحة ـ مع عدة رسوم ـ منشورات دار الكشاف ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ثورة الحسين : ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية ـ تأليف محمد مهدي شمس الدين ـ ٢٤٠ صفحة ـ منشورات دار الاندلس ببيروت . (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الموقف العربي : محاولة لتطبيق مبدأ العلاقات ـ تأليف الدكتور خيرالله عصار ـ ١٠٤ صفحة ـ مطبعة الاصلاح بحماه سورية .

● ديوان الناصري ـ جمعه وعلق عليه : هلال ناجي وعبدالله الجبوري ـ الجزء الثاني ـ ٣١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة العاني ببغداد .

● قل كلمتك وامش ـ تأليف كامل مروة ـ ٤٤٨ صفحة ـ منشورات جريدة الحياة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ترانيم الاطفال ـ تأليف المحامي عبدالقادر عياش ـ ٥٤ صفحة ـ حجم كبير ـ سلسلة «تحقيقات فولكلورية من وادي الفرات رقم ١٣» ـ طبع في دير الزور بسورية (لم يذكر اسم المطبعة) .

● هؤلاء خرجوا من القطيع ـ رواية ـ تأليف خضر نبوه ـ طبعة ثانية ـ ١٠٨ صفحة ـ مطابع دار الفندور ببيروت .

● ادب القصة في سورية : دراسة وتحليل لادب ٢٤ قاصا ـ تأليف عدنان بن ذريل ـ صمم الغلاف نعيم اسماعيل ـ ٤٥٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الفن الحديث العالمي ـ مطبعة الايام بدمشق .

● الادب المسرحي في سورية : دراسة في المسرحية العربية السورية منذ ابي خليل القباني الى اليوم ـ تأليف عدنان بن ذريل ـ مصمم الغلاف غازي الخالدي ـ ١٦٨ صفحة ـ منشورات دار الفن الحديث العالمي ـ مطبعة الايام بدمشق .

● الموشحات الاندلسية : نشأتها وتطورها ـ تأليف سليم الحلو مدرس قواعد الموسيقى والغناء في المعهد الموسيقي الوطني ببيروت ـ تقديم الدكتور احسان عباس ـ ٣٢٤ صفحة ـ حجم موسوعي ـ مع نوطة موسيقية للموشحات ـ منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● انسانية الفئران ـ مجموعة قصص ـ تأليف خضر نبوه ـ ١١٢ صفحة ـ مطابع دار الفندور ببيروت .

● الذين لا يبكون ـ مجموعة قصص ـ تأليف عايدة مطرجي ادريس ـ ١٠٨ صفحة ـ منشورات دار الاداب ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اراء في الاصلاح التربوي ـ تأليف الدكتور عمر التومي الشيباني ـ ١٧٨ صفحة ـ الكتاب رقم ١ في سلسلة «الكتاب الليبي» ـ منشورات اللجنة العليا لرعاية الفنون والاداب بوزارة الاعلام والثقافة الليبية ـ المطبعة الحكومية طرابلس ليبيا .

● سباعيات لرباعيات الخيام ـ ترجمها عن الانكليزية المهندس محمد جميل العقيلي ـ ٧٠ صفحة ـ مع النص الانكليزي ـ وعدة لوحات ـ مطبعة الاتحاد باللاذقية سورية .

● اغنية الميلاد ـ مجموعة شعرية ـ خالد زغبية ـ ٨٢ صفحة ـ منشورات اللجنة العليا لرعاية الفنون والاداب بوزارة الاعلام والثقافة الليبية ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● حصاد الذكريات ـ مجموعة شعرية ـ عبدالله يوركي حلاق صاحب مجلة الضاد ـ تقديم محمد عبدالغني حسن ـ ٢٥٨ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع على نفقة المحامي فتح‌الله صقال ـ ووزع هدية من مجلة «الكلمة» لقرائها ونصرائها ـ مطبعة الضاد في حلب سورية .

● اللهب المقفى ـ مجموعة شعرية ـ حافظ جميل ـ تقديم السيد منير القاضي رئيس المجمع العلمي العراقي الاسبق ـ مصمم الغلاف جميل حمودي ـ ٢٠٠ صفحة ـ الكتاب الاول في سلسلة «ديوان الشعر العربي الحديث» ـ منشورات وزارة الثقافة والارشاد العراقية مديرية الثقافة العامة ـ دار الجمهورية ببغداد .

● انا من الشرق ـ قصة طويلة ـ تأليف ابريزا المعوشي ـ ٢١٦ صفحة ـ منشورات دار لبنان للطباعة والنشر ببيروت ـ مطابع دار لبنان ببيروت .

● الزوجة الفنية ـ مسرحية ذات ثلاثة فصول ـ تأليف دنيا مروة ـ ٨٠ صفحة ـ منشورات دار الكتاب الجديد ـ مطابع معتوق اخوان ببيروت.

● نبضات قلب ـ شعر ـ محمد حسين آل ياسين ـ ٨٠ صفحة ـ منشورات مكتبة النهضة ببغداد ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● كمشة حلا ـ مجموعة من الشعر العامي اللبناني ـ جوزيف غصين ـ تقديم سعيد عقل باللغة العامية ـ ١٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات لبنان ـ مطابع فؤاد بيبان وشركاه في جونية لبنان .

● اشواق صغيرة ـ مجموعة شعرية ـ علي محمد الرقيعي ـ ٦٨ صفحة ـ منشورات اللجنة العليا لرعاية الفنون والاداب في ليبيا ـ مطابع وزارة الاعلام والثقافة في طرابلس ليبيا .

● نبذة عن تاريخ تأثير الطب العربي على اوروبا ـ تأليف بيتر باخمان ـ ١٦ صفحة ـ منشورات المعهد الثقافي الالماني في طرابلس لبنان ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

جولة الأديب في شهر



الجدية في العمل خلال احد عشر شهرا

من كانون الثاني الى تشرين الثاني ١٩٦٦ ، احد عشر شهرا مرت حافلة ، خاصة في حقل التجهيز.ويبدو واضحا ان التجهيز المائي هو القطاع الاساسي الواجب تقديمه .وهكذا كان ان وصلت المياه الى ١٢٩ قرية خلال العام ١٩٦٦.ومن المقرر الا يبقى في عام ١٩٦٨ قرية واحدة في لبنان دون كهرباء.

وتجدر الاشارة الى ان المشاريع الملزمة من كانون الثاني حتى تشرين الثاني ١٩٦٦ ، تبلغ قيمتها ٧،٥٢٢،٣٨٨ ليرة لبنانية ، (منها ٥،٩١٠،٤١٤ لمياه الشرب ، و ١،٦١١،٩٧٤ للري). وثمة مشاريع ستلزم حتىنهاية العام الجاريتبلغ قيمتها ٤،٢٩٣،٠٠٠ ليرة (منها ٢،٢٤٧،٠٠٠ لمياه الشرب و ٢،٠٤٦،٠٠٠ للري) .

والغاية من ذلك ليست تأمين المياه لكل مواطن وحسب ، بل ينبغي في الوقت نفسه ، تحسين الزراعة . ويبدو ان من الواجب ارواء مساحات جديدة من الارض دون اللجوء الى انشاء بحيرات اصطناعية. وفي عام ١٩٦٧ يبدأ ري ٣٠،٠٠٠ دونم في البقاع والجنوب وجبل لبنان من مياه الليطاني .

على ان اعمال الحفر تستدعي ، اكثر فاكثر ، اهتمام الدوائر الفنية.وقد كشف التنقيب عن وجود خزانات واسعة من المياه الجوفية في شكا وزغرتا .والمهندسون متفائلون كذلك بنتائج الاعمال الجارية في سهل عكار ، على الرغم من عدم ظهور نتيجة ايجابية حتى الان . الا ان البحيرات الاصطناعية هي قيد التنفيذ ، وستتيح ارواء مساحات واسعة لم تستثمر بعد .

وفضلا عن ذلك ، هناك دراسة عامة لمياه لبنان قيد الاعداد .وهي تستهدف الافادة الى اقصى حد من المياه للري ، وكذلك تفادي بعض الفيضانات الموسمية .وقد تم تلزيم مشروع نهر ابو علي في ١٣ ايار ١٩٦٦ وتجري الاعمال فيه على مدى ٢٤ شهرا .والغاية منه هي تنظيم المجرى وضبطه لتلافي الفيضانات المفجعة التي تغمر المناطق المحيطة به.

والمبالغ المرصدة له موزعة كما يلي : الاستملاكات المخصص لها مبلغ اربعة ملايين ليرة قد بلغت ٣،٢٦١،٨٦٩ ليرة ، انفق منها ٢،١٢٦،٨٢٨ ليرة في عام ١٩٦٦ ، و٢٠ مليون ليرة مخصصة لاعمال تقويم المجرى . وقد انفق مبلغ ٣،٨٠٩،٨٩٩ ليرة ، خلال العام الجاري الذي شهد بداية الاعمال المقرر انتهاؤها سنة ١٩٦٨ .

اما مشروع نهر بيروت الذي يستهدف ناحيتين معا ، الاولى صحية والثانية تنظيمية ، فتقدر اكلاف اعماله بعشرين مليون ليرة . وستبدأ هذه الاعمال في مطلع عام ١٩٦٧ المقبل. وسيكون دفتر الشروط جاهزا في كانون الاول ١٩٦٦ . وفضلا عن حفر الاقنية ، يقضي المشروع بانشاء شوارع على طول الضفتين ، وايجاد طريق دولي يتصل بمرفأ بيروت ، واقامة اعمال فنية ، وخاصة مقسمات وتقاطعات تسهل حركة السير.

اما التجهيز الكهربائي الريفي فهو قيد الانجاز . وخلال عام ١٩٦٦ الجاري ، وصلت الكهرباء الى ٣٢٠ قرية في مختلف المناطق ، اي بمعدل قرية تقريبا كل يوم.وقد بلغ مجموع انتاج لبنان هذا العام ٨٦٠ مليون كيلوات ساعة.ومع تضاعف الانتاج في السنوات الست المقبلة ، سيبلغ في سنة ١٩٧٢ مليارا و ٧٠٠ مليون كيلوات ساعة ، وفي سنة ١٩٧٨ يرتفع الى ثلاثة مليارات ونصف مليار كيلوات ساعة .

ومن اجل زيادة انتاج الطاقة الكهربائية بدأت الاشغال في معمل الجية الحراري وسيكلف ٥٧ مليون ليرة لبنانية ، وكذلك بدأ العمل في محطة جون المائية المقدرة اكلافها بمبلغ ٤٢ مليون ليرة . وعلى نهر الليطاني بدأ حفر القناة الرئيسية لجر المياه .

وفضلا عن ذلك ، هناك ثمانية مراكز بقوة ١٥/٦٦ كيلوات ساعة (رفعت الى ١١ بواسطة المحولات) قد انجزت في ١٥ تشرين الاول ١٩٦٦ . ومدت خطوط بقوة ١٥ كيلوات الى بعض القرى .

وفي ما يلي جدول بالمنجزات :

	بداية العمل	انتهاء العمل	اهمية العمل
اللبوة	١٥-١٠-٦٤	٣٠-٦-٦٦	٧٠كلم - ٢٧ مركزا
عنجر - جنين - مركبا	٢٥-١٠-٦٤	٢٥-٥-٦٦	٨٠كلم - ١٢١ مركزا
مرجعيون - صيدا	٢٠-١٠-٦٤	٣٠-٥-٦٦	٨٠كلم - ٣٤ مركزا
مرجعيون - النبطية - الجنوب	٣-١١-٦٤	٢٠-٥-٦٦	٣٣كلم - ١٥ مركزا
جبل لبنان	١٠-١١-٦٤	١٠-٣-٦٦	٢٤كلم - ٢٢ مركزا

اما شبكة المواصلات فهي تتحسن وتتسع باطراد . فالاعمال في مرفأي بيروت وجونية قد انجزت او هي على وشك الانجاز . وزود مرفأ طرابلس باربعة مستودعات وكذلك برافعات ومقطورات .

وينتهي العمل في الحوض الثالث من مرفأ بيروت في نهاية السنة. وتقدر قيمة التجهيزات التي سيزود بها بمبلغ ٢٢ مليون ليرة . اما الانشاءات الاخرى (الارصفة والاهراءات) فتنجز قبل نهاية العام . وكان قد انجز تجهيز مقعر لجر السفن في شهر آب الماضي .

وهناك سياسة عامة للموانىء قيد الاعداد ، من اجل استثمار المرافىء اللبنانية على خير وجه ، في مجالات السياحة ، وصيد الاسماك ، والتجارة .وكذلك يدرس الان مشروع يرمي الى انشاء حوض رابع في مرفأ بيروت . ولهذه المناسبة ليس من المستبعد التفكير في توسيع مرفأ طرابلس .

ومن جهة ثانية قدمت جملة مشاريع لتعزيز وسائل النقل البحري. وقد انجز الجسر P2 والجسر P3 في ٣١ اذار ١٩٦٦ . وفي بداية ١٩٦٧ يكون اوتوستراد جونية - المعاملتين - طبرجة قد انجز .

وفي نطاق السياسة الرامية الى تعميم الطرق ، انفق مبلغ ٧،٨٠٩،٦٨٧ ليرة لبنانية من مشروع الاربعة والثمانين مليون ليرة لشق طرق الى القرى المحرومة من سبل المواصلات .

ويتابع مجلس تنفيذ المشاريع الكبرى ، درس مشروع يتعلق بانشاء خط سريع للشاحنات بين بيروت ودمشق ، وخاصة بين بيروت وشتورة .وهذا الطريق سيمر في نفق او عدة انفاق ، ويكون صالحا للسير صيفا شتاء .وكذلك الطريق الساحلي الذي يصل صيدا بطرابلس هو قيد الدرس .

وتجدر الاشارة ، في ما يتعلق بالمواصلات داخل العاصمة ، الى ان خطوط الاوتوبيس قد اصبحت تخدم المناطق الرئيسية من مدينة بيروت .

اما الاتصالات الهاتفية ، فقد تم تلزيم ٢٤،٥٠٠ خط جديد للعاصمة ، وركب منها ٣٢٠٠ خط .وبعدما عمم الهاتف الآلي على زحلة وبعبدا ارتفع عدد المشتركين فيه الى ٨٥ بالمئة .وهناك مشروع معجل بتركيب ٥٠،٠٠٠ خط جديد معروض على مجلس النواب .

واستعمال «التلكس» يبدو ضروريا اكثر فاكثر.وقد كان هذا الجهاز الذي انشىء عام ١٩٦٢ يملك ١٠٠ خط ، مع امكان زيادتها الى

٢٢. خطا. ويبلغ مجموع الاتصالات المقدرة للسنة الجارية ٦٠٠،٠٠٠ دقيقة. وهناك الان قيد التلزيم مشروع يقضي بتجهيز الف خط جديد. ويدرس كذلك امر استخدام الكواكب الاصطناعية والخطوط تحت الماء.

وفي حقل النقل الجوي، سجل مطار بيروت الدولي زيادة بلغت نسبتها ١٣ بالمئة في حركة الركاب، و ١٢ بالمئة في حركة الشحن. وفي ما يلي بيان ذلك بالارقام:

	المسافرون	الحمولة بالطن	البريد
١٩٦٦ (المقدر)	١،٣٥٩،٠٠٠	٣٤،٠٠٠	١٤٠٠ (٢٥،٤٠٠)
١٩٦٥	١،١٩٥،٩١٨	٣٠،٣٦١	١٤،٠٦٩
الفـرق	١٦٣،٠٢٢	٣،٦٣٩	٢٣
الزيادة	١٣ بالمئة.		

وكان مطار بيروت موضع سلسلة من التحسينات واعمال التوسيع خلال عام ١٩٦٦. وكان من نتيجة انتهاء القسم الاول من الابنية ومن منشآت الطيران المدني، ان زادت المساحة ١٥٠٠ متر مربع. وسيضاعف انجاز القسم الثاني من هذه المساحة.

وقد زيدت مساحة الابنية المخصصة لمراقبة نقل البضائع من ٤٠٠٠ متر مربع الى ١٠،٦٥٠ متر مربع. وقد جهزت بآلات مبردة لحفظ البضائع. وانشئت فيه صالة جديدة لاستقبال السياح تبلغ مساحتها ٢٤٩٠ متر مربع، اي اربعة اضعاف مساحة الصالة السابقة. وهي مزودة باحدث التجهيزات الفنية والوسائل التي تتيح للمسافر الانتقال بسهولة. وسيؤمن بساط متحرك توزيع الحقائب.

والى هذه الاعمال المهمة، تضاف اعمال اخرى في الحقل الزراعي. وقد وزع المشروع الاخضر ٦٠٠،٠٠٠ غرسة، وساهم في استصلاح ١٥،٠٠٠ دونم من الارض. وبلغ مجموع المساعدات المالية للمزارعين ٣ ملايين ليرة لبنانية.

واتسع هذه السنة نطاق اعمال التحريج في الجبال اللبنانية الى مساحات جديدة بحيث انها ستبلغ ٢٥٠٠ دونم حتى نهاية العام الجاري، خاصة في مناطق الباروك والكنيسة وراس بعلبك ومركبا والارز. ولقد اتضح ان هناك اكثر من مليوني دونم هي قابلة للتحريج. ويقدر مجموع اكلاف هذا العمل بمبلغ ١٥ مليون ليرة. وهناك اقتراح قيد الدرس يرمي الى ابدال الماعز بالغنم والبقر لحماية الاحراج.

واخيرا، انطلقت في لبنان بداية حملة واسعة النطاق، تستهدف القضاء على زراعة الحشيشة المخدرة، والاستعاضة عنها بزراعة اخرى اكثر فائدة. وكانت هذه السنة سنة تجربة. وستمتد زراعة دوار الشمس في عام ١٩٦٧ على مساحة ١٥٠،٠٠٠ دونم، وستتخذ تدابير لتأمين دخل للمزارع لا يقل عن ١٢ ليرة في الدونم.

اما في حقل التعليم والتربية، فقد كان التجهيز موضع اصلاحات عدة. من ذلك ان البرامج قد عدلت بحيث تؤمن تخريج ٢٨٠٠ فني في العام بدلا من ٣٥٠ يتخرجون حاليا من المدارس المهنية، اي بزيادة ثمانية اضعاف.

وفضلا عن ذلك، عين ١٢٠٠ استاذ للتعليم الثانوي. وسيبدأ العمل في بناء كلية العلوم في الجامعة اللبنانية في شهر آذار ١٩٦٧. ومن المتوقع ان تفتح هذه الكلية ابوابها لاستقبال الطلاب في تشرين الثاني ١٩٦٨.

وعلى صعيد الاسكان، ان دفعة اولى تتناول بناء ١٨٠٠ مسكن شعبي، سيبدأ العمل بها في مطلع عام ١٩٦٧، في الحدث وفي صور. وكذلك تجري الاستملاكات حاليا، للدفعة الثانية، وهي تتناول انشاء ٢٢٠٠ مسكن في المكلس وفي صيدا.

والضمان الاجتماعي لا ينفك يتسع نطاقه. وقد بلغ عدد المسجلين في صندوق الضمان حتى الان ١٦٣،٠٠٠ عامل. و ٦٥،٠٠٠ يتقاضون تعويضاتهم العائلية. وبلغ مجموع ما تقاضاه الاجراء من هذه التعويضات، بين اول تشرين الثاني ١٩٦٥ (وهو تاريخ بدء العمل بهذا الفرع) و ٣١ آب ١٩٦٦، سبعة ملايين و ٥٢٧،٣٦٣ ليرة لبنانية، اي بمعدل شهري مقداره ٧٥٢،٧٣٦ ليرة.

وفي مجال السياسة الصحية العامة، اعدت دفاتر شروط (المستشفيات والمستوصفات الصحية) ضمن نطاق الاعتمادات المرصدة في مشروع الـ ٢٧٢ مليون ليرة، ومقدارها ٤٨،٦٠٠،٠٠٠ ليرة، وهي مخصصة للنهوض بالمستوى الصحي.

اما انشاءات معرض لبنان الدولي في طرابلس، فقد انجز منها ٦٠ بالمئة. وتبقى هناك الدراسات الاضافية للطرق والمداخل والحدائق. وينتهي العمل في البناء الرئيسي خلال السنة. ومنذ الان تجري اتصالات مع مؤسسة روكفلر لاستخدام خبير فني في تنظيم المعرض واستثماره. ومن المقرر ان تنجز جميع التجهيزات الفوقية والتحتية خلال عام ١٩٦٩.

وثمة العديد من مشاريع التجميل المدني قيد التنفيذ. وستنجز مشاريع مدينة جونية في ٣٠ كانون الاول ١٩٦٦. اما مشاريع مدينة بيروت فهي كثيرة، وبعضها قد انجز: منها المدخل الشرقي الذي كلف ١١ مليون ليرة، والمسلخ الحديث وبلغت اكلافه ٨ ملايين، وشارع الرئيس فؤاد شهاب الذي فتح للسير جزئيا، وقد كلف ١٤ مليون ليرة.

وهناك حدائق عامة فتحت للجمهور، في برج ابي حيدر والمدور والرميل، وتبلغ مساحتها ١٥،٠٠٠ متر مربع. وثمة مشاريع اخرى ينتهي العمل فيها قريبا. منها حديقة المصيطبة (مساحتها ٤،٦٦٠ متر مربع)، (واكلافها ١،٢٢٠،٠٠٠ ليرة)، وصلة التباريس، مار نقولا التي يبلغ طولها ٦٥٠ مترا، وعرضها ٢٠ مترا، وقد بلغت اكلافها



تدشين المعمل الحراري بالجيه



مشهد للعمل في الحوض الثالث

٥ ملايين ليرة.ووصلة شارع بشارة الخوري – البسطة التي بلغت اكلافها ٢،٢٥٠،٠٠٠ ليرة ، ومشروع الصنائع – الاونسكو (انجاز شارع ليون نحو البحر) .

واخيرا هناك عدة مشاريع ستلزم قبل نهاية عام ١٩٦٦ ، وهي : الحديقة العامة في السيوفي ، حديقة حرج الصنوبر ، جسر المدخل الشرقي ، وصلة الطيونة ، قصر العدل ، وصلة قصر العدل – فرن الشباك ، وصلة شارع الشام – شارع اديب اسحق .

وقد وضع مخطط لتنمية صيد السمك ، يستهدف جعل السمك اكلة شعبية ، والحد من استيراد اللحوم ، ورفع مستوى حياة صيادي الاسماك . ويرمي المشروع الى جعل الانتاج يتزايد تدريجيا حتى ٢٥ الف طن ، وجعل الاستهلاك المحلي يرتفع الى ١٢ كيلوغراما للشخص . وتحقيقا لهذه الغاية ستنشأ مدرسة للتدريب على الصيد في البترون، وستجري ابحاث بحرية في عرض الشاطىء اللبناني الذي سيشهد ازدهار صناعة صيد الاسماك .

وعرف الحرير نموا سريعا في السنوات الاخيرة . وقد وافق مجلس الوزراء على خطة لتنمية تربية دودة الحرير على مدى ١٥ سنة، الامر الذي يتيح للبنان ان يصبح سادس بلد منتج للحرير في العالم . فضلا عن ذلك ، فقد بدأ مصنع كفرشيما يعمل وتبلغ طاقة الخانق ١٣٠ الى ١٤٠ الف كيلوغرام في السنة.اما طاقة الغزل فتبلغ ١١٠ الاف كيلوغرام ، بمعدل ٨ ساعات عمل في اليوم . والى جانب التجهيزات القائمة حاليا ، يمكن اقامة وحدة ثانية من الالات .

والقطاع السياحي يتطور تطورا سريعا ، وهو في وضع سليم . ويبلغ معدل الزيادة ٢٠ بالمئة سنويا ، و ٩٥ بالمئة من اراء السياح وانطباعاتهم عن لبنان هي مشجعة .واكثر ما يسترعي اهتمام الاوروبيين والاميركيين ، هي المواقع الرئيسية .

امة في العمل ، ذلك هو المشهد الذي يريد لبنان ان يعطيه عام ١٩٦٦ . والواقع ان ما يجب ان يدركه كل مواطن ، هو قيمة الوحدة الوطنية الحق ، وسلامة الاقتصاد . ومن هنا يبدو بناء لبنان الحديث في نظر المواطن من الاهمية بمقدار ما يدرك ان النجاح هو رهن ، على الاخص ، بعمله اليومي الدائب الصبور .

•

تطوير صناعة الادوية في لبنان

لقد اثبتت التجارب في البلدان النامية ، وخاصة في البلدان التي لا تملك الثروة الطبيعية القادرة على تامين المداخيل الدائمة المستمرة ، ان الصناعات المتخصصة هي في طليعة الوسائل الكفيلة بتامين الازدهار الاقتصادي والنمو المتزايد في الدخل الوطني والفردي . من هنا ان صناعة الادوية الناشئة في لبنان جديرة باهتمام المسؤولين الذين يتعين ان يوجهوا القطاع الخاص في سبيل توظيف الاموال وانماء هذه الصناعة بحيث تصبح موردا حيويا من موارد البلاد .

فقد نشأت هذه الصناعة في لبنان سنة ١٩٥٦ ، واصبحت تضم اليوم عددا من المصانع التي تمكنت مع قلة عددها ، وضآلة الاموال الموظفة فيها ، وحجم انتاجها ان تؤدي عملها بنجاح ، وتغطي بعض حاجات السوق المحلية .

والمعروف ان لبنان يستورد سنويا بما لا يقل عن ٢٥ مليون ليرة لبنانية من الادوية المختلفة لحاجات الطب البشري والبيطري ، في الوقت الذي لا يصدر فيه اي مادة من هذه الموارد والمستحضرات . ويمكن القول ان هنالك امكانيات واسعة لتطوير صناعة الادويةاللبنانية بحيث تتمكن من تخفيض الاستيراد وحصره ببعض المستحضرات والعقاقير التي تخصص في صنعها فريق سباق الى الكشوف العلمية والتجربة الصيدلية من المختبرات العالمية الكبرى ، كما تتمكن فيالوقت نفسه من سد حاجات متزايدة في الاسواق العربية والاسواق الافريقية والاسيوية عامة .

الناحية الفنية :

اما من الناحيةالفنية ، فأول ما يتبادر الى الذهن هو تامين الموارد الاولية لهذه الصناعة ، وهنا لا بد من الاشارة الى انه ليس من بلد منتج للادوية في العالم يمكنه الاكتفاء بموارده الاولية الخاصة لتطور صناعته ، فمن الضروري اذن استيراد المواد الاولية من الخارج، وهو متيسر في اي وقت من الاوقات ، كما يمكن استكمال الحاجة الى تلك المواد باستعمال ما تيسر منها في السوق المحلية ، وهو وان كان ضئيلا يساعد على صناعة بعض الاصناف .والجدير بالذكر ان تطوير الصناعات الكيميائية للنفط في بعض البلدان الشرقية المنتجة للبترول من شأنه ان يؤمن طائفة لا يستهان بها من المواد الاولية لصناعة الادوية.

هذا في ما يتعلق بالمواد الاولية ، اما الاختصاص البشري ،فأعتقد انه متوفر جزئيا في الوقت الحاضر ، فمعظم اطبائنا وصيادلتنا يتخصصون في المعاهد والجامعات العالمية الكبرى ، ويقومون بدورات تدريبية وتجريبية في المراكز الصحية والمختبرات الكبرى ، وسيكون في وسعهم ان يدخلوا الاصناف الجديدة من الادوية التي تلائم طبيعة بلادنا واهلها ومناخها ، كما تلائم المحيط وامراضه الخاصة ومشكلاته الطبية المختلفة ، فضلا عن ان انشاء المصانع الجديدة ومساندة هذا الانتاج سيحفز الاجيال الطالعة من الاطباء والصيادلة على التوجه في خط معين من الاختصاص ويجعلهم اقدر على تامين حاجة المصانع الوطنية الى الجهاز الفني والبشري اللازم .

الناحية الاقتصادية :

واما على الصعيد الاقتصادي ، فتجدر الاشارة الى ان اسعار الادوية تضاعف لدى بيعها للمستهلك اللبناني ، باعتبار ما يتعين من ارباح لتجار الجملة والصيدليات ، وباعتبار ما يتعين من نفقات النقل والتامين الى آخر ما هنالك من رسوم وخلافه . وفي هذا التلميح ما يغني عن التصريح بان تطوير الصناعة الوطنية للادوية لا يخفض فقط حجم الادوية المستوردة بنسبة كبيرة ، انما يؤدي في الوقت نفسه الى تخفيف الاعباء عن كاهل المستهلك ، ويساهم بالتالي في حصر وازالة مشكلة اجتماعية ما تزال تشغل المسؤولين في الاجهزة المختلفة وتحرك الرأي العام ، واعني بها مشكلة الدواء .

ويمكن مراجعة الجداول المثبتة في ذيل هذا البيان لمعرفة حجم الادوية المستوردة وما تبلغ اسعارها سنويا ، (سعر الاستلام في مرفأ بيروت ، اي نصف سعر البيع بالمفرق على وجه التقريب) .

ولا ريب في ان تطوير هذه الصناعة ، سيلقى التأييد من جهة ثانية ، في الاوساط العربية كافة ، باعتبار ان العالم العربي يستورد الدواء باسعار باهظة من العالمين الاوروبي والاميركي ، وسيجد في الانتاج اللبناني وسيلة ناجعة لسد حاجاته المتزايدة من اصناف الادوية بالسرعة المطلوبة والاسعار الملائمة .هذا مع العلم ان انتاج الادوية يكاد يكون منعدما في معظم البلدان العربية ، وحتى في معظم البلدان الاسيوية والافريقية .

هذا ، ويتعين اول الامر ان يستعين لبنان بالشركات العالمية المتخصصة في انتاج الادوية من امثال «فروست» وغيرها ، فتشارك هذه المؤسسات الكبرى في تامين المصانع اللبنانية للمستحضرات الطبية والكيميائية ، وتؤمن للبنان عن طريق مشاركتها منافع متعددة اهمها :

١ – المراقبة العلمية والفنية الدقيقة ، وبالتالي الجودة والفعالية للدواء .

٢ – ان اقتران الاسماء العالمية الكبرى باسماء الشركاتاللبنانية، يكسب صناعتنا الناشئة ثقة في السوق المحلية والعالم العربي ويسهل

تصريف الانتاج .

٣ ـ الاستفادة من اجهزة التوزيع والدعاية والتسهيلات المصرفية وغيرها من الامور التي تحصل عليها الشركات العالمية بمختصر الوسائل.

والواقع ان المؤسسات اللبنانية التي نشأت حتى الان في نطاق صناعة الادوية قد استعانت بشركات عالمية كما هو مبين في الجدول ادناه ، وبدأت تعطي نتائجمرضية، سواء في جودة الانتاج او في تصريفه.

واننا اذ نلفت المسؤولين والقطاع الخاص الى اهمية هذه الصناعة وتطويرها انما نعمل بدافع من ايماننا بالقدرة اللبنانية على مجاراة التطور الصناعي والاقتصادي في العالم ، هادفين بوحي فخامة رئيس الجمهورية الاستاذ شارل حلو الى تأمين المزيد من المداخيل الثابتة التي يرتكز عليها الاقتصاد الوطني في سبيل مستقبل افضل .

ادوية للطب البشري او البيطري

الاستيراد :	الكمية كلغ	القيمة ل.ل	التصدير :الكمية	القيمة
١٩٦٢	٣،٥١٣،٢١٣	١٤،٢٧٩،٣٧١	٢٧،٦٧٤	٤١٣،٩٧٩
١٩٦٣	١،٢٨١،٥٦٣	١٧،٩٥٦،٤٩٨	١٩،٣٨٧	٢١١،٨٣٨
١٩٦٤	١،٢٥٨،٤١٨	١٨،٦٩٠،٧٠٠	٦٣،٨٠٣	٥٧٥،٥٥٠

معلومات عن معامل الادوية في لبنان

الجمهورية اللبنانية ـ وزارة الاقتصاد الوطني ـ مصلحة الصناعة

اسم المؤسسة	موقعها وعنوانها	تاريخ التأسيس	الرأسمال	عدد العمال	الاصناف المنتجة
شركة صناعة الادوية للشرق الاوسط (مفيكو)	الجمهور هاتف ٥٥١٠٧٧	١٩٥٦	١ ٠٠٠ ٠٠٠	١١٠	مواد صيدلانية ـ مستحضرات طبية
شارل اي فروست وشركاه	ذوق مصبح هاتف ٩٣٠٣٧٠	١٩٦١	١ ٠٠٠ ٠٠٠	٤٩	مواد مبيدة للحشرات . مستحضرات طبية
شركة سيرلايز	بيروت شارع عبد العزيز هاتف ٢٥٧٧٣٦	١٩٦٥	٢ ٠٠٠ ٠٠٠	٢٨	مستحضرات صيدلانية . مستحضرات طبية .
		المجموع	٤ ٠٠٠ ٠٠٠	١٨٧	

يوجد بعض المختبرات التي تنتج بعض الامصال الطبية يبلغ رأسما لها حوالي ٥٠٠ الف ليرة لبنانية وعدد عمالها حوالي (٢٠) عاملا .

احسان بيضون

•

بيروت عاصمة المصارف

لا جدال في ان بيروت قد اصبحت اليوم عاصمة المصارف في الشرق الاوسط ، وتجدر الاشارة الى ان عدد المصارف المعترف بها من قبل الدولة قد ارتفع من سبعة عام ١٩٤٥ الى اربعين في بداية عام ١٩٦٠ والى ٩١ خلال عام ١٩٦٦ ، وانه لازدياد فريد من نوعه لا يقل شأنا عن تنوع الجنسية ، اذ ان هناك اولا المؤسسات اللبنانية والمؤسسات المختلطة «لبنانية واجنبية» كما ان هناك من جهة ثانية المصارف العربية، العراقية والسعودية والاردنية والمصرية والتونسية والكويتية ، بالاضافة الى المصارف الافرنسية والاميركية والايطالية والسويسرية والهولندية والباكستانية والالمانية والسوفياتية والايرانية والكندية .

عوامل النهضة الستة :

هناك ستة عوامل رئيسية حققت هذه النهضة المدهشة في القطاع المصرفي وهي التالية :

١ ـ موقع بيروت الجغرافي وهي مرفأ لبنان وسوريا وبغداد وطهران وكابول مما جعل العاصمة اللبنانية نقطة التقاء للتجارةالدولية في هذه البقعة من العالم .

٢ ـ حرية القطع التي وجدت منذ عام ١٩٤٨ اذ ان لبنان هو البلد الوحيد في الشرق الاوسط الذيتتوفر فيه حرية شراء العملات الاجنبيةوبيعها والذي ليسفيه اي عائق يحول دون حركة رؤوسالاموال.

٣ ـ استقرار الليرة اللبنانية الناجم عن سياسة مالية سليمة من حيث توازن الموازنة من جهة وتوازن ميزان المدفوعات من جهة اخرى .

٤ ـ سياسة استقرار القطع التي اتبعت منذ عام ١٩٥٣ وهي السياسة التي اسهمت الى حد بعيد في ايجاد جو من الثقة فيما بين رأسالمال اللبناني والاجنبي ، وقد حالت هذه السياسة دون التقلب العنيف في العملات الاجنبية اذ ان الدولار بعد ان طرأت عليه تقلبات عديدة ومتواصلة ، عاد واستقر سعره على ٣.٠٨ غروش لبنانية وهو السعر الرسمي الذي وضعه مصرف لبنان عام ١٩٦٥ ، وذلك بعد ان كان سعره يتراوح ما بين «٣١٥ و ٣٢٠ غرشا لبنانيا» .

وهكذا يشعر رجال المال بالطمأنينة من حيث السياسة النقدية التي تشجع على توظيف الاموال والادخار ، يضاف الى ذلك انعدام اي عائق يحول دون حركة رؤوس الاموال سواء كان ذلك في الدخول ام الخروج.

٥ ـ اسهمت التقلبات التي طرأت على بعض البلدان في تدعيم طابع بيروت الوحيد كعاصمة المصارف .

٦ ـ السرية المصرفية التي انشئت بموجب القانون الصادر بتاريخ ٣ ايلول ١٩٥٦ مما عزز وضع بيروت الممتاز وكانت الغاية من تحقيق هذه السرية اجتذاب رؤوس الاموال الاجنبية مقابل ضمانات تتعدى حدود التقاليد المهنية .

كيف تتم حماية زبائن المصرف اللبناني ؟

لقد نصت المادة الثانية من قانون ١٩٥٦ على ما يلي : « يحظر على كل مدير او موظف مصرف او الاشخاص الذين يطلعون بحكم وظائفهم على المعاملات المصرفية والمراسلات ان يذيعوا ما يعلمون عن اسماء الزبائن وممتلكاتهم او عما يعنيهم وذلك لاي كان ، فردا ام سلطة عامة ، ادارية عسكرية ام قضائية ، الا في حالة تفويض صادر عن الشخص المعنى او في حالة نزاع حول احدى العمليات المصرفية فيما بين المصارف وزبائنها »).

ويعاقب في لبنان كل من ينتهك حرية السرية المصرفية بالسجن من ثلاثة اشهر الى سنة واحدة .ويجدر التوقف عند هذا التشريعالذي يعتمده عدد ضئيل من البلدان فيما عدا لبنان وقد كتب في هذا الصدد

الاستاذ «فابيا» الاستاذ في معهد الحقوق والعلوم الاقتصادية في بيروت ما يلي :

«ان ذلك ناتج عن الرغبة في ان يفيد لبنان من كونه ملجأللممتلكات الاجنبية وذلك بفضل استقراره الداخلي وتفهم حكومته للحرية وضآلة ضرائب الدخل لمصادر متعددة وانعدام الحواجز التي تحول دون حرية استيراد رؤوس الاموال وتصديرها ، ويضيف الاستاذ فابيا قائلا : وقد استعمل هذا الملجأ على نطاق واسع ، عدد من مواطني البلدان الشرقية المجاورة والقريبة وقد رغبوا في ان يصفوا قسما من ثروتهم بعيدا عن السياسة ، وقد حقق هذا القانون اقصى ما يمكن تحقيقه من السرية لكافة العمليات وذلك بالنسبة للاشخاص والسلطات على حد سواء .

الخدمات المتعددة التي تؤمنها المصارف :

ما هي الخدمات التي تؤمنها مصارف بيروت لزبائنها ؟ ان هذه المصارف في الدرجة الاولى ، مصارف معدة لاستقبال الودائع وقد بلغ مجموع هذه الودائع اربعة مليارات ليرة لبنانية «مقابل ١٦٦ مليون عام ١٩٤٣ اي العام الذي شهد استقلال البلاد».

وتدفع المصارف في مجموعتها ، فوائد لاصحاب هذه الودائع بنسبة ٢ بالمئة اما فوائد حسابات الادخار فتبلغ ٤ بالمئة بينما ترتفع هذه الفوائد الى ٥ بالمئة وذلك في بعض الحالات الاستثنائية وهذه هي بعض الاحصاءات :

- تبلغ حاليا حسابات الادخار : ٨٠٠ مليون ليرة تقريبا .
- حسابات الشيكات : ٦٥٠ مليون ليرة تقريبا .
- الحسابات الجارية : ٧٠٠ مليون ليرة لبنانية .
- الودائع لآجال محددة : ٤٥٠ مليون ليرة تقريبا .

وهناك ايضا حلقة اخرى من الخدمات تدخل في نطاق النشاطات المصرفية التقليدية وهي : الاعتمادات المصرفية .

ان نسبة الفوائد التي يدفعها المدينون تتراوح ما بين ٥ بالمئة و٩ بالمئة وفقا للحالات وتقدر حاليا قيمة السلفات والحسابات المدينة بمبلغ ثلاثة ملايين ليرة تقريبا ويذكر في هذا المجال الاعتماد العقاري والسلفات على السندات والاعتماد المعد للموظفين وغيرهم ممن يتقاضون الاجور والاعتماد المعد للاستهلاك والاعتماد العائد الى شراء الشقق بالتقسيط .

بعض الخدمات ذات الطابع الاختصاصي :

ان المؤسسات التي تعنى بالاعتماد في بيروت تؤدي الخدمات التي يلازمها طابع الاختصاص منها :

- عمليات القطع : بيع وشراء العملات الاجنبية
- الاعتمادات : تداول المستندات استيرادا وتصديرا
- الحسابات المرقمة : تفيد من السرية المصرفية
- الضمانات : يفيد منها المتعهدون والتجار
- ادارة الاملاك :
- عمليات البورصة والسلفات على السندات
- دفع نسبة الارباح للمساهمين
- تاجير الصناديق الحديدية لحفظ الاشياء الثمينة والمستندات الهامة وحلى النساء
- دراسة وضع الاسواق

ان التجهيز المصرفي في لبنان يفتقر الى قسم للاعتمادات المتوسطة والبعيدة المدى مما يحول دون انشاء سوق مالية في بيروت . وقد حاولت الحكومة معالجة هذه القضية فانشأت مصرف الاعتماد الزراعي والصناعي والمالي ، وهي شركة مختلطة للانماء واعطى الاختبار نتائج محدودة وانه لمن المتوقع ان تحل هذه العقدة نهائيا عندما يتم انشاء مصرف للانماء «وهو حاليا قيد الدرس مع المصرف العالمي»

بيروت : نعم ـ طنجة : لا .

هذه هي لمحة موجزة عن العوامل الرئيسية التي عملت من بيروت عاصمة المصارف في الشرق الاوسط ومركزا ماليا دوليا هاما ومع ذلك يجب الا تقارن وضعية بيروت بالنسبة لوضعية طنجة التي طالما بقيت ملازمة لها حتى السنوات الاخيرة اذ ان طنجة تشكل مركزا طبيعيا دوليا ما لبث هذا المركز الطبيعي ان تلاشى عندما الغي القانون الدولي. اما بيروت فتتمتع بقوتها المالية الخاصة بها وذلك بصرف النظر عن وجود بعض المؤسسات الاجنبية الهامة .وكما ان قناة السويس تؤمن مرور البضائع بين اوروبا والمحيط الهندي كذلك بيروت فانها تؤمن ايضا مرور رؤوس الاموال .

وختاما لهذا الحديث هل هناك من حاجة للتذكير بان انشاء مصرف لبنان خلال نيسان ١٩٦٤ ، وهو من احدث مصارف العالم ، يسهر على تطبيق قانون العملة والاعتماد يؤمن للقطاع المصرفي « الحرية في ظل النظام والطمأنينة » ؟

●

الزراعة اللبنانية والمشروع الاخضر

من أصل اربعمائة مليون ليرة لبنانية ، يوفرها القطاع الزراعي للبلاد، في حقل الاقتصاد الوطني ، يكاد انتاج الزراعة لا يصل الى اكثر من ثمانية عشر بالمئة من المجموع المشار اليه .

ثم ان هذا القطاع يحتل جهود حوالي ٢٥٠ الف شخص منمجموع السكان البالغ عددهم ٥١٠ الاف نسمة. وتجدر الاشارة الى ان الفاكهة وغيرها من المحاصيل الزراعية هي من اهم المواد الرئيسية التي يصدرها لبنان الى الخارج وفقا للاحصاء التالي :

- ١٠١٥٩٠ طنا من التفاح
- ٩٩٠٠٢ طنا من البرتقال
- ٤١٦٠٣ اطنان من الليمون الحامض
- ٩٨٧١ طنا من الموز
- ٣٢٩٥ طنا من العنب .

وكل هذا امثلة على ما صدره لبنان الى الخارج عام ١٩٦٥ .

اهمال الارض

ان اهمال القرويين للارض منذ بضع سنوات ، يهدد تهديدا خطيرا الزراعة اللبنانية ، هذا القطاع الحيوي لاقتصادنا الوطني . اذ لم يعد في الوقت الحاضر سوى ٣٢٦ الف هكتار من الارض المزروعة ، اي بنسبة ٢٠ آرا للمواطن . مع العلم ان مجموع سكان لبنان يبلغ زهاء مليونين ومئة الف نسمة . لذلك يقدر اهل الاختصاص في التغذية ، مساحة الارض الزراعية اللازمة المماثلة لتلك التي هي موجودة في لبنان ، بمئة « آر » للمواطن ، عندما تكون الشروط الفنية المتوفرة ، تضاهي الشروط الفنية ذاتها المتوفرة في البلاد .

ان متوسط المساحة المزروعة في أوروبا الغربية يبلغ حوالي ٣٥ « آرا » . ولكن هذه البلدان اكثر انتاجا ، بفضل التجهيز الزراعي التقني ، الذي يتطور باستمرار ، ويتوفر للمزارع الاوروبي .

ثم ان اهمال المناطق الريفية ، يزيد في خطر انجراف التربة ، الامر الذي يضاعف مساحات الارض المهملة ، ويدعو في الوقت نفسه الشعب اللبناني ، ولا سيما في ضوء تزايد السكان ، الى تكثيف جهوده ومضاعفة نشاطه خلال الخمس والعشرين سنة المقبلة ، اي يوم تتدنى مساحة الارض المزروعة حتى عشرة « آرات » .

وفي هذا الشأن ، بل في نطاق اهمال الارض بالذات وخطره على لبنان في المستقبل ، يمكن ان ناخذ لنا مثلا احصاءا تحقيقيا عن بلدة «ايعات» القائمة في سهل البقاع الزراعي ، فان حوالي الفين من سكانها ، من اصل الفين وخمسمائة ، قد نزحوا الى المدن ، بعد ان اصبح مدخولهم الزراعي عاجزا عن سد حاجاتهم ، او توفير ما هو جديد منها وملح بنتيجة الظروف التي اوجدتها تطورات المستوى المعيشي .

وهناك احصاءات عديدة في هذا المضمار . منها تحقيق جرى في عدد من القرى الجبلية اللبنانية ، واثبت ان اكثر من ثمانين بالمئة من القرويين الذين يعتمدون في معيشتهم على الانتاج الزراعي ، قد تجاوز السنوات الخمسين من العمر .

وفي الواقع تقدر مساحة الارض الزراعية المهملة بحوالي ٢٠٠ الف هكتار ، منها سبعون الفا استحصلت جلولا مسورة «بالحجارة الناشفة» . وقد اقتضت جهودا مضنية خلال القرون الثلاثة الماضية . ولكن هذه الجلول القائمة في الجبال والمحرومة من اية عناية وترميم ، قد تهدمت ، وجرفت السيول تربتها عبر السواقي والانهار الى البحر ، بعد ان اصبحت عارية من النبات وسائر الاشجار التي كانت بمثابة الحصون المنيعة لحفظ تربتها ، وبالتالي العامل الاول في اخصابها .

وقد كان لاهمال الارض ، على صعد متعددة ، نتائج مضرة للغاية ولا سيما في حقل الانتاج الزراعي ، مما حمل البلاد على استيرادكميات كبيرة من المواد الغذائية ، ولا سيما الحبوب ، واللحم ، وغيرها من المواد الحيوانية .

وبالتالي ارتفع مجموع ما يستورده لبنان من المواد الزراعية الى ٣٢٥ مليون ليرة سنويا . غير ان تجارب السنوات الاخيرة ، قد أظهرت بصورة لا تقبل الشك ، انه عندما يزداد النشاط والاهتمام بالشؤون الزراعية ، يصبح بامكان المنتج تحسين مستوى حياته . وقد كانت النتائج في هذا الشأن ، مشجعة ورائعة ، وهذا يعود الفضل فيه الى مشاريع الري التي نفذت خلال السنوات الماضية ، فقد ارتفعت الحاصلات الزراعية الساحلية من ١٠٠ الف طن ١٩٥٥ الى حوالي ٢٢٥ الف طن ١٩٦٥ ، ومن خمسة ملايين و ٨٠٠ الف ليرة لبنانية عام ١٩٥٥ ، الى ما يقارب ٤٥ مليون ليرة لبنانية عام ١٩٦٥ .

اما نقص الانتاج الزراعي الحاصل في القطاعات الزراعية الاخرى، فليس له ما يبرره على الاطلاق .

الغابات والمراعي

ان اختصاصيي المشروع الاخضر يرون ان غابات لبنان التي كانت، فيما مضى ، تغطي حوالي ٢٧٠ الف هكتار من مساحة البلاد ، لا تشمل في الوقت الحاضر سوى ٧٤ الف هكتار .وبذلك انخفضت الاحراج من مستوى ٢٥ الى سبعة بالمئة . بينما المعدل الوسطي الضروري لتامين التوازن الحيوي للماء، والارض، والمناخ، هو ثمانية عشر بالمئة.

اما على الصعيد الاقتصادي ، فان هذا النقص الخطير في مساحات الغابات ، لا يفسح المجال امام الصناعات الخشبية ، للتقدم والازدهار، هذه الصناعات التي تضطر ، ازاء رداءة الخشب المحلي ، الى الاستعانة بخشب الخارج ، والاستيراد منه سنويا بما يفوق مبلغ ثلاثين مليون ليرة لبنانية .

وفيما يتعلق بالمراعي ، فان المساحات التي يمكن استثمارها ، قد تدنت بسبب كثرة استخدامها ، بالاضافة الى اهمال الاسباب التي تساعد في انمائها او مضاعفتها .

وفي هذا الصدد كتب مدير المشروع الاخضر الدكتور مالك بصبوص يقول :

ان اختفاء النبات ، وانعدام المروج الاصطناعية ، يلحق ضررا بالغا في انماء تربية الحيوان ، وحمايته ، كما يترك آثارا سيئة فيالحقلين الاقتصادي والاجتماعي .ذلك ان الانتاج الحيواني امر مهم جدا ، من ناحيتي تأمين العمل للفلاح طيلة السنة ، وزيادة الدخل .ثم ان تربية الحيوان ، تمثل افضل صلة واوثقها بين الفلاح وارضه ، بالاضافة الى انها مصدر لا باس به لمواد التسميد اللازمة لمضاعفة الانتاج وتحسين انواع الغذاء .

وفي الحقيقة ، بقي الاهتمام بتربية المواشي ، في معظم انحاء البلاد ، غير كاف ، وبالتالي يحمل هذا التخلف لبنان على استيراد كميات كبيرة من المواد الحيوانية ، تقارب قيمتها سبعين مليون ليرة لبنانية سنويا .

اهمية المشروع الاخضر

بالاستناد الى ما سبق في هذا التحقيق ، يتضح لنا مدى ما يحمل الحكومة اللبنانية على تنفيذ منهاج واسع النطاق للتنمية الزراعية في خلال عشر سنوات ، والمعروف باسم المشروع الاخضر . اما مهمة المشروع الاخضر ، فهي تكملة لسائر مشاريع التجهيز : ماء ، كهرباء ، طرق ...الخ. وهي المشاريع التي تقوم بها الدولة في الوقت الحاضر، وتتلخص بالعناصر التالية :

١ – الدرس والتصميم الهادفان الى التنمية الزراعية ، والى ايجاد الجهاز الاداري الكفوء للنهوض بها .

٢ – تحسين قيمة الارض ، وزيادة خصبها .

٣ – تحقيقات اقتصادية ، والبحث عن اسواق لها .

٤ – انتاج الاغراس وتوزيعها لزيادة المحاصيل ودعم اقتصاد البلاد.

٥ – مراقبة الماعز ، وتنمية تربية المواشي .

ويتضح من ذلك ان الهدف الاخير هو ابقاء القروي في ارضه ، وتقييم الارض المهملة ، وتأمين دخل كاف يسد حاجات سكان الريف .

اعادة تقييم الارض

ان اعمال التقييم ، التي ينهض بها المشروع الاخضر ، تستحق اهتماما خاصا . لان المسؤولين قد وجدوا اسلوبا ثوريا في تسليف المزارعين ، يتلاءم والاسلوب المالي.وذلك عندما يعرض مزارع على



الدبيـة ـ جبـل لبنـان



ديـر مار شعيا ـ جبـل لبنان

المشروع الاخضر مشكلة زراعية ، او طلبا يتعلق بشان من شؤون الزراعة . فيتوجه مهندس مختص الى الارض ، موضوع الطلب ، ويناقش المزارع بصدده ، ثم يضع تقريرا عن التكاليف التي يقتضيها العمل . اما العمل نفسه ، فيبدأ عن طريق الجرارات التي يستأجرها بالجملة المشروع الاخضر من الملتزمين على اساس كلفة العمل في الساعة بثلاثين ليرة لبنانية ، في الارض العادية ، اي بما يعادل ثلاثين يوما من العمل ، يقوم بها عامل ، وتكلف ٢٥٠ ليرة لبنانية . كما يراقب تنفيذ العمل يوميا المهندس والمزارع اللذان يوقعان محضر العمل .

وحسب الطريقة المالية المتبعة في الوقت الحاضر ، يسهم المزارع، بنسبة تراوح بين ١٠ و٢٥ بالمئة من كلفة الاعمال .وذلك وفقا لاهمية الاعمال نفسها . ويسلف المشروع الاخضر هذه القيمة لمدة عشر سنوات ، على ان يبدأ استيفاؤها من السنة التي تلي انتهاء العمل . والجدير بالذكر ان المشروع الاخضر ، يأخذ فائدة قدرها واحد بالمئة ، يغطي بها النفقات المصرفية ورهن الارض .

مساوىء الطريقة الحالية

بعد اختبارات عدة ، ظهرت مساوىء متعددة ، بالنسبة لاساليب التسليف القديمة ، ذلك ان مساحات كثيرة من الارض لم يشملها المشروع الاخضر اما لانها في مناطق ، لم تجر فيها بعد عمليات المساحة، او لانها مرهونة ، او ان هنالك عددا من المالكين مقيمين ومغتربين .

ومن جهة ثانية - فان عدد المستفيدين الذي كان يزداد باستمرار، ومعاملات المبالغ الصغيرة المتوجبة على المزارعين ، اثارت مشاكل عملية صعبة الحل .ومن هنا نشأت الطريقة الجديدة ، ذات الطابع الثوري.

مشروع ثوري

يستوحي المشروع الجديد هدفا اساسيا له ، هو تمكين الدولة من مساعدة كل مشروع ، واستعادة المبالغ التي تسلفها . لذلك جاء المشروع الجديد حريصا على تحقيق النقاط التالية :

١ - يسهم المزارع بـ ٢٥ بالمئة .

٢ - عدم رهن الارض .ويعفى من كثير من المعاملات السابقة .

٣ - السماح للمشروع الاخضر باستيفاء ٢٥ بالمئة من المزارع ، وايداع المبالغ المستوفاة في مصارف عدة مقبولة ، وذلك في حسابات مقفلة لمدة عشرين سنة ، وبفائدة مركبة قدرها سبعة بالمئة . وهكذا تتضاعف المبالغ المودعة كل عشر سنوات .

٤ - السماح بايداع مليون ليرة لبنانية لا غير في كل مصرف .

اما حسنات المشروع على الاجمال فهي :

١ - تستوفي الدولة ما دفعته على المدى الطويل .

٢ - تجنيب المشروع الاخضر متاعب عديدة ، ومعاملات ادارية باهظة النفقات ، تستقطب امكانات بشرية ضخمة ، يمكن استخدامها في حقول اكثر انتاجا .

٣ - ادخال جميع الاراضي اللبنانية ، بما فيها غير الممسوحة ، في نطاق المشروع الاخضر .

٤ - تؤمن الدولة ، وبطريقة غير مباشرة ، سيولة نقدية للقطاع المصرفي ، يكون بالمستطاع تسليف مبالغ منها ، على المدى الطويل ، لاستخدامها في تنمية القطاع الصناعي والزراعي والسياحي .« وقد وافق مجلس الوزراء على هذا المشروع» .

دراسة الارض والسوق

في الوقت نفسه ، يقوم المشروع الاخضر ، بدراسة الارض ، ويقدم النصائح العلمية للمزارع ، حول استخدام الارض لزراعات توافق نوع التربة ، بالاضافة الى دراسة كل الطاقات والامكانات الرامية الى تصريف الانتاج في كل منطقة ، آخذا بعين الاعتبار اوضاع البلدان المضاربة ، ومعطيات الاسواق الخارجية ، خلال العشر سنوات او العشرين سنة المقبلة . وبهذه الطريقة يمكن استخلاص ما يمكن الحصول عليه من نتائج ، لتقرير كمية الانتاج ونوعيته ومدى المطلوب منه في الاسواق .

ارقام احصائية

ما هي النتائج التي توصل اليها المشروع الاخضر منذ بدء نشاطه ١٩٦٥ ؟ مما لا شك فيه ان الارقام التالية ، تعطي فكرة واضحة عما نحن بصدده .

- ففي سنة ١٩٦٥، وهي السنة التي تعتبر نقطة البدء في مباشرة العمل ، استخدم المشروع الاخضر ٥١ جرارا في أعمال زراعية متعددة، ثم قفز هذا العدد الى ٦٧ جرارا في عام ١٩٦٦ ، ويتوقع ان يستخدم المشروع عددا اكبر من هذه الجرارات عام ١٩٦٧ .

- قامت الجرارات بما تقارب ٦٥ الف ساعة عمل ١٩٦٥ ، يقابلها ٩٥ الف ساعة ١٩٦٦ .

- سنة ١٩٦٥ قسم المشروع الاخضر احد عشر الف دونم من الارض مقابل ١٥ الف دونم سنة ١٩٦٦ .

- في عام ١٩٦٥ تناولت الاعمال ٩١ قرية ، مقابل ١٦١ قرية خلال عام ١٩٦٦ .

- ارتفعت قيمة القروض الزراعية عام ١٩٦٥ الى مليونين ونصف مليون ليرة لبنانية ، مقابل اربعة ملايين سنة ١٩٦٦ وارتفع عدد المستفيدين من ٨٧٣ سنة ١٩٦٥ الى ١٥٠٠ عام ١٩٦٦ .

- اما الاعمال المنفذة فهي كما يلي :

نزع الصخور ، ونقب الارض ، وتمهيدها ، وبناء الجلول بالحجارة ، كما لحظ المشروع الاخضر في منهج اعماله بناء صهاريج ماء للارض القابلة للري ، وانشاء طرق زراعية ، بالاضافة الى الموازنة الملحوظة للمشروع الاخضر ، والتي تبلغ ٤٠ مليون ليرة مقسطة على عشرة اعوام . وهذا مما يفسح المجال ، لتقييم مساحة قدرها ١٥ الف هكتار ، وذلك يعني من ناحية ثانية استثمار حوالي ١٥٠ مليون ليرة لبنانية ، بما فيها اجور العمال وعائلاتهم .